مجلة إسلامية ثقافية

رسالة النجف

العدد الرابع

كانون ثان - شباط - آذار : 2006م 2006م

جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية — لبنان

محتويات العدد

1	الافتتاحية	التحرير
2	تحقيق العدد - حوزة الرسول الأكرم (ص)	أحمد الموسوي
3	الشيخ البهائي في قرية إيعات	د.خضر محمد نبها
4	نقد الشعائر الحسينية، أخطاء في المنهج	الشيخ مصطفى يحفوفي
5	أبعاد النهضة الحسينية المباركة	الشيخ أحمد صمادي
6	البعد الغيبي في حركة الإمام الحسين(ع)	الشيخ محمد جواد الفقيه
7	الإمام الحسين(ع) في الكتاب المقدس	الشيخ حاتم إسماعيل
8	وفاء العباس(ع)	الشيخ منذر الفقيه
9	مصدر الأحكام	السيد علي السيد حسين يوسف مكي
10	الاستطاعة البذلية	الشيخ حسن رميتي
11	الإسلاميون والغرب	د. طلال عتريسي
12	الغدير	الشيخ أحمد عسيلي

الافتتاحية

التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله (صلى اله عليه وآله): (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحبّ حسينًا).

بهذه الكلمة الموجزة يلخّص النبي الأكرم (صلى اله عليه وآله) حركة الحسين (عليه السلام)،فيحدّد جوهر حقيقتها ويبيّن جملة أبعادها.

فأيّ عبارة يمكنها أن تنسب إلى الحسين بقاء النبي واستمرار رسالته أبلغ من قوله (صلى اله عليه وآله): (وأنا من حسين)؟

وليس المراد بهذا القول هو أن ذريّة النبي (صلى اله عليه وآله) ستظهر إلى الوجود عن طريق الحسين (عليه السلام) ليكون معنى [وأنا من حسين] هو أمر يتعلّق بالانتساب والتكاثر، كلا ليس ذلك هو المراد والدليل هو أن ذرية النبي (صلى اله عليه وآله) ليست مقصورة على التناسل من الحسين وحده، هذا مضافًا إلى أن الشطر الأخير من كلمة النبي (صلى اله عليه وآله) تقول: (أحب الله من أحب حسينًا)، حيث جعل حب الإنسان للحسين (عليه السلام) مقدّمة لأن يكون الإنسان محبوبًا لله تبارك وتعالى، وهذا يُفصح عن كون القضية هي قضية رسالة وعقيدة لا قضية انتساب وذريّة فقط.

ولما كان صدور هذا العدد من **[رسالة النجف]** يتزامن مع مناسبة ذكرى عاشوراء فقد ارتأت أسرة التحرير أن تخصّص ملفًا لهذه الذكرى الجليلة، فجاء بعنوان: **(عاشوراء قِيَم وأبعاد)**، ويجد القارئ في العدد مقالات أخرى قيّمة جادت بها أقلام نبذة من العلماء الأفاضل والكتّاب المتخصصين كان لها الفضل في إغناء مادّة المجلّة واتّساع دائرة فائدتها، فلهم منّا جزيل الشكر ومن المولى تعالى وافر الأجر والثواب.

التحرير

تحقيق العدد - حوزة الرسول الأكرم (ص)

أحمد الموسوي

تجربة بدأت في قم المقدّسة

معهد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حوزة لهذا العصر

تتابع "رسالة النجف" في هذا العدد، ملف الحوزات العلمية في لبنان، وتنشر فيما يلي الحلقة الخامسة، وتتضمن تحقيقًا عن الحوزة العلمية "معهد الرسول الأكرم العالي للشريعة والدراسات الإسلامية" في بيروت - حارة حريك.

علاقة السياسة بالدين، باب جدل مفتوح، كان ولا يزال على الساحة الإسلامية، وقد اشتدّ في السنين الأخيرة نظرًا للتطورات الاستثنائية والظروف الخاصّة التي يمرّ بها العالم الإسلامي، والتي شكّل في سياقها انتصار الثورة الإسلامية في إيران تحوّلاً تاريخيًا في مجريات ما يدور من صراعات في المنطقة العربية الإسلامية، خاصّة بعد أن أثمرت هذه الثورة أول جمهورية إسلامية في العصر الراهن، فلعبت دورًا حاسمًا في انبعاث نهضة إسلامية من جهة، وفي اشتداد الهجمة الغربية على الإسلام المتجدّد لمحاصرة طموحاته في التحرّر والتقدّم والتطوّر من جهة أخرى.

ومن تعبيرات ذلك الجدل في لبنان تأسيس الحوزة العلمية "معهد الرسول الأكرم العالي للشريعة والدراسات الإسلامية" عام 1404هـ الموافق لسنة 1984م، إذ أريد لهذه الحوزة منذ تأسيسها أن تكون أحد الردود على ما تعيشه الساحة اللبنانية، وخاصة الإسلامية، من حالة انكسار وانهزام بعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982، فكان تأسيس الحوزة أحد التعبيرات عن مواجهة التحدّيات التي يتعرّض لها المجتمع الإسلامي في لبنان، سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي والفكري عبر المساهمة في تلبية احتياجات هذا المجتمع للكوادر العلمية والثقافية في مجال الشريعة والدراسات الإسلامية.

دور تاريخي

فإلى أي حدّ نجحت هذه الحوزة في تحقيق أهداف وضعتها أو في سدّ فراغ فكري وثقافي وديني ندبت نفسها لملئه؟ وهل شكّلت بذلك امتدادًا لدور الحوزة الدينية عبر التاريخ؟ وهل للحوزة دور سياسي؟ وما هي حدوده؟

عن هذه الأسئلة وغيرها يجيب المدير العام في حوزة معهد الرسول الأكرم سماحة الشيخ علي سائلي الذي تحدّث في البدء عن دور الحوزة عبر التاريخ فقال:

في كل مجتمع ديني إسلامي هناك حاجة إلى مؤسسات أو جامعات خاصة بتربية علماء الدين والمثقفين والباحثين والكتّاب المعنيين بهذه الساحات العلمية، والاسم المصطلح لهذه المؤسسات والجامعات هو "الحوزة"، ولأن الأمر كذلك فإن الحوزة نشأت في أوساط المسلمين منذ قرون طويلة، بسبب الحاجة الماسّة إلى وجودها لتلبية احتياجات المسلمين، وتدريجيًا بدأت تتشكّل الحوزات في معظم البلدان بشكل عفويّ، إلى أن قام الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) بترسيخ حوزة علمية قديرة وقويّة في بغداد فالنجف الأشرف، ثم تطوّرت الحوزة على مرّ الزمن إلى وقتنا هذا، وكانت وظيفتها الأولى تربية عناصر علمية قويّة وتخريج كوادر إسلامية كفوءة لتعليم الناس أحكام الإسلام ومعارفه ومفاهيمه، وتبيان أمورهم الدينية.

وإذا كانت تلك هي الوظيفة الأساسية للحوزة فيجب أن تتطوّر الحوزة على حسب تطورات المجتمع ليكون هناك انسجام بين دور الحوزة وبين احتياجات المجتمع الدينية.

ولذا يجب أن تستمر الحوزة في التخطيط وتطوير العمل، سواء لناحية ما يتمّ تعليمه فيها أو لناحية كيفية التطبيق والتوجّه للناس.

□ هل نجحت الحوزة في تلك الوظيفة في الماضي؟



◊ عندما نقيّم ملف الحوزة بالنسبة إلى الماضي، فالجواب نعم، الحوزة كانت ناجحة.

□ واليوم؟

◊ اليوم نجد مسألة هامّة وهي أن الأمور الاجتماعية، والأحداث التي تجري في المجتمع متسارعة جدًا، ويطلب من الحوزة أن تجدّ في مواكبة المستجدّات والتطوّرات المتلاحقة، وهنا لا بد من القول إننا حين نتحدّث عن وجوب التطور في الحوزة فإنما نقصد نوعًا من الفقاهة والاجتهاد، بمعنى تطبيق ما يتطلّبه المجتمع من شؤون فردية وعامة على الأسس والثوابت الدينية الفقهية والأصولية، فمن الوظائف المنوطة بالفقيه متابعة المسائل

المستحدثة والإجابة عنها، ولا بد له من الإحاطة بما يتعلق بإدارة شؤون الدولة من إصدار القوانين الموافقة للشرع والمواقف السياسية الحافظة للأمة، وهذا ما تمثّل أخيرًا بصورة بارزة في الإمام الخميني رضوان الله عليه في ثورته المظفرة وتأسيسه للجمهورية الإسلامية في إيران

ولتلبي الحوزة في عصرنا هذا هذه الحاجات في ظل التطورات المتسارعة في شتى مجالات الحياة الفردية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، تحتاج إلى مبادرة سريعة للتخطيط والبرمجة وخطوات حثيثة في الإعداد والتأهيل لخرّيجيها حتى تسدّ الفراغ الذي قد يكون حدث من جراء ذلك.

□ هل هناك قصور عن التطور لدى الحوزة وعدم قدرة على اللحاق بالتطورات العصرية الهائلة على كل الصُّعد كما قد يعتقده البعض؟

◊ بالنسبة للمنابع الإسلامية لا يوجد أيّ قصور أو مشكلة، قال الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في رسالته الأخيرة قبل رحيله قال: "الفقه علم إدارة المجتمع" فنحن إذا درسنا الفقه من هذا المنظار الواسع لن يقتصر عملنا في المساجد على تعليم الناس بعض الفروع العبادية فحسب، فإذا كان لدى البعض قصور فهو يعود إلى عدم دخوله إلى الفقه من هذا الباب.

ومدراء الحوزة يعملون فعلاً على تحديث البرامج وأساليب التدريس وإضافة المواد والتخصصات لتلافي التقصير في اللحاق بركب التطور. وخطوا خطوات كبيرة وجدية في هذا الشأن، لكن عندما ننظر إلى الماضي نجد أن الحوزة كانت تتطور باستمرار، أما عندما ننظر إلى الحاضر فنجد أننا لم نصل بعد إلى المطلوب.

□ تطبقّون في حوزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أساليب تطويرية وتعليمية جديدة، حدّثونا عن ذلك وهل نجحتم في هذه التجربة؟

◊ منذ سنوات تقام في حوزتنا ندوات علمية أحيانًا داخلية بين طلابها، وأحيانًا تكون الندوات مشتركة بين طلابنا وبعض الهيئات الخارجية، ودائمًا يكون هذا الموضوع من الموضوعات الرئيسة في البحث والنقاش والحوار. ومؤخرًا اتخذ مجلس الإدارة قرارًا جديدًا وهو أن نقيم بدل هذه الندوات ندوات أخرى تخصصية ندعو إليها مدراء سائر المدارس والحوزات، لإجراء أبحاث ونقاشات وحوارات معمّقة حول موضوع معين نحاول من خلالها الإجابة على كثير من الأسئلة المطروحة على هذا الصعيد. فمثلاً هل عدد الطلاب المنتقلين من المرحلة الأولى إلى المراحل العليا يتقلّص، الحقيقة نعم يتقلّص، لماذا؟ نستطيع أن نقيم ندوة حوارية تخصصية وندعو من كل حوزة مدير قسم التعليم ومدير القسم التربوي للتحدث حول هذا الموضوع، ثم في ندوة أخرى نبحث في موضوع آخر، كموضوع كيفية تطوير الأمور التربوية في الحوزات، أو في الأمور التعليمية، وهكذا. وأتصور - إذا نجحنا وإن شاء الله ننجح - بعد ذلك يمكن أن نخرج بتصورات علمية متقاربة حول المواضيع الخاصة بالحوزات ومناهجها وأساليب التعليم فيها.

□ دعوة لمؤتمر حوزوي؟

◊ تقريبًا، لبحث الموضوعات الخاصة وطرح الأفكار التطويرية على طاولة البحث والنقاش والحوار.

□ محاولة لطمأنة الخائفين من طروحات التطوير؟

◊ نعم، والهدف الأساس تطوير منهجي مبنيّ على الضوابط الإسلامية. الإمام الخميني (رضوان الله عليه) كان دائمًا يقول: "أنتم تستطيعون"، وأعتقد أننا نحن نستطيع.

□ ما رأيكم بالدور الذي يقوم به سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني في العراق؟

◊ بالنسبة إلى الساحة العراقية، فإن وجود السيد السيستاني هنالك في تلك الأوضاع الرهيبة التي يعيشها البلد من جراء الاحتلال الأمريكي وحلفائه كان خير ضمان لمنع تخريب الحوزة في مرحلة من المراحل بعد دخول الاحتلال، ومن ثم فإنه حفظه الله دخل المعركة في الوقت المناسب، واستطاع أن يجمع الشرائح المختلفة من المسلمين الشيعة ومن ثمّ شكّل بمواقفه الحصن الحصين لوحدة المسلمين في العراق في وجه مخططات الفتنة، ومن ثمّ حقّق إنجازًا في الحثّ على المشاركة في الانتخابات وإحراز نتائج غير مرتقبة، فلم تأتِ نتيجة الانتخابات كما اشتهى وأراد الأميركيون، كل تلك النجاحات والانجازات جعلته حفظه الله محورًا ومداراً لوحدة المسلمين ووحدة أهل العراق.

تجربة.. ودعوة للتطوير

بعد تأسيسها، سريعًا شقّت حوزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) طريقها إلى البروز كصرح علمي إسلامي فاعل ومنتج، لتنضم لاحقًا إلى "المؤسسة العالمية للحوزات والمعاهد العالية للعلوم الإسلامية". ومن ثم لتتحوّل إلى أحد أبرز مراكز الحوار والبحث في ميدان التربية والتعليم وتطوير المناهج والخطط التربوية التعليمية الداعية إلى إعادة النظر بالمناهج وطرائق التدريس في الحوزات، بما ييسر سبل الدراسة أمام الطلاب من جهة، ويحفظ عمق الأصالة الحوزوية والمنهج الاجتهادي والفقهي من جهة ثانية، ويتيح مواكبة التطورات العلمية المعاصرة من جهة ثالثة.

هذه الدعوة، من جهةٍ، تلقى ترحيبًا من أوساط حوزوية مؤيدة لخوض غمار هذه التجربة الساعية إلى التطوير ومواكبة المعارف العصرية، وتُواجه من جهة أخرى، بالشك والحذر، وأحيانًا بالرفض من أوساط حوزوية أخرى تعتبرها بداية لتغيير مسار تاريخي سارت عليه الحوزة إلى عصرنا الراهن، وتبدي مخاوف من أن تؤدي هذه التجربة إلى الانتقاص من مكانة الحوزة وفاعليتها ودورها.

عن هذه المواضيع وغيرها تحدث مدير التربية والتعليم والبحث العلمي في المعهد سماحة الشيخ حسن الهادي في الحوار التالي:

□ حوزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) تنتهج تجربة جديدة، في المناهج، والأهداف والأنظمة، وطريقة التدريس، وتقسيم الدراسة الحوزوية، وهو ما يثير انتقادات أو مخاوف لدى الكثيرين الذين يعتبرون أن مثل هذه التجربة تحمل في طياتها إلغاءً للحوزة ويحوّلها إلى ما يشبه الجامعات أو المعاهد الأكاديمية؟



◊ إذا اعتبرنا أن الحوزة هي الجهة المسؤولة عن العلوم الإسلامية والمعنيّ الأول بصياغة الفكر الإسلامي وأصوله، فلا بد من النظر الدائم في كل المناهج والبرامج، على ضوء العلوم والمعارف الحديثة وما يستجدّ منها، وهذا ما يؤدي أحيانًا إلى الخروج عن بعض العناوين الشكلية التي لا علاقة لها بالأصالة، كترتيب المراحل الدراسية مثلاً، فنحن نبحث عن الوسائل التي تحقّق أهدافنا التعليمية التي نستطيع من خلالها أن نبني طالبًا وعالمًا ملمًّا بالعلوم والمعارف الإسلامية من جهة، وعالمًا يملك القابليات لينطلق في عملية الاجتهاد والاستنباط من جهة أخرى، وهذا المسار ليس إلا امتدادًا لنشاط منهجي وعلمي كبير ابتدأ في الحوزة العلمية في قم المقدسة، وهو يراعي أولاً عمق وأصالة الحوزة العلمية وقضية الاجتهاد وبناء الفكر الإسلامي، وثانيًا النظر في الحاجات الواقعية للمجتمعات الإسلامية بموضوعية، وهذا ما يتطلب بناء منهج يوائم بين الأصالة الحوزوية والمنهج الاجتهادي والفقهي وبين حاجات المجتمع والأمّة، فهو إذن مسار مواكبة وليس إلغاء، وهو ينطلق من الأسس والمرتكزات التي وضعها علماؤنا وفقهاؤنا للعلوم والدراسات الإسلامية، وأعتقد بأننا لا نحتاج إلى استيراد علوم من خارج دائرة العلوم الإسلامية لنضمها إلى برنامج الحوزة، ومنها علوم أساسية يجب على الحوزة العلمية أن تتصدّى لها، شاءت أم أبت، كعلوم القرآن ومناهج التفسير والمفسّرين، وعلم الكلام الإسلامي، والفلسفة الإسلامية، والمذاهب والأديان السماوية، والفرق الكلامية الكثيرة، وكلّها تحتاج إلى إعادة قراءة منهجية.

هذه العلوم بالإضافة إلى علمَي الفقه والأصول، تحتاج كلّها إلى المزيد من الاهتمام داخل الحوزة، والتي لا يحقّ لها أن تستقيل من وظائفها ومسؤوليّاتها في هذا المجال وتتركها للآخرين، والحمد لله هناك بعض الحوزات التي بدأت تستشعر هذا الهمّ وتعمل على رفعه، وهذا ليس كما يخشى بعضهم انقضاضًا على الحوزة، ولكن هو إحياء لأصول الحوزة وسيرة العلماء السابقين كما يظهر بأدنى تأمّل في سيرهم.

□ هل يمكن تحديد أهم الميادين المطلوب إعادة النظر فيها؟.

◊ من العلوم التي يجب أن تبحثها العملية الإصلاحية، المتون والكتب الدراسية، وإدخال الدراسات التخصصية، الأنظمة التعليمية، إجراء عمليات تقييم دائمة لكل مفاصل الحوزة وحركتها ونشاطها. إضافة إلى كل ذلك لا بد لكل منهج أو عملية تعليمية من وجود مجموعة أهداف، ووسائل تحقّق هذه الأهداف، وهذا عمل بديهي ولا داعي لأن يخاف أحد من ذلك، خاصة وأن ما نطرحه على هذا الصعيد ليس دخيلاً أو مستوردًا.

□ بمناسبة الحديث عن الأهداف، ما هي الأهداف التي تسعى حوزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى تحقيقها؟

◊ تتمثّل رسالة الحوزة أو المعهد بالالتزام بالأسس والمبادئ التالية:

أ - فهم الإسلام (عقيدة وشريعة، ومنهاجًا شاملاً يغطي الحياة كلها) من خلال فهم الكتاب والسنّة بالاعتماد على الدراسات المنهجية المعمّقة المرتكزة على مبدأ الاجتهاد بمختلف أدواته.

ب - إيجاد مناخ علمي وتربوي يجمع بين أصالة الفكر الإسلامي والاستفادة الجيدة من نتائج وخبرات العلوم الأخرى، وتشجيع وتنمية روح البحث والتفكير والإبداع العلمي.



ج - بناء الشخصية الإسلامية المتّزنة القادرة على التصدي للتحديات الفكرية المعاصرة، وتكريس القيم الأخلاقية فيها، بالتأكيد على الضوابط الخلقية لاستعمال المعرفة وتداولها.

□ والأهداف التربوية؟

◊ يمكن إيجاز الأهداف التربوية - التعليمية للمعهد بما يلي:

أ - تربية وبناء الطالب القادر على إنتاج المعرفة المبنية على الاجتهاد في أحد فروع العلوم الإسلامية وتأهيله كي يرتقي أعلى المدارج العلمية حتى الاجتهاد.

ب - تربية وتأهيل الطالب ليصبح مدرسًا كفوءًا في مجال تعليم المعارف والعلوم الإسلامية والحوزوية في المعاهد الدينية والمدارس العصرية.

ج - تربية وتأهيل الطالب كي يصبح مبلّغًا ناجحًا، يستطيع النهوض بالعمل التربوي - التبليغي في الساحات المختلفة بغية خدمة البشرية.



د - تربية وتأهيل الطالب كي يصبح باحثًا متخصّصًا وقادرًا على تلبية الاحتياجات العلمية والثقافية المعاصرة.

هـ - العمل على استقطاب النخب العلمية والثقافية من خلال إقامة برامج ونشاطات ثقافية وفكرية محدّدة المدّة.

□ وما هي أهم مشاريع المعهد المستقبلية؟

◊ إن أهم مشروع نعمل عليه هو:

استكمال فتح التخصّصات في العلوم الإسلامية المختلفة، وبناء منظومة البرامج والمناهج الخاصة بالعلوم الإسلامية، وفق سياسة تربوية علمية.

حوار وانفتاح وتوأمة

حوزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) تعدّ من الحوزات العلمية الكبيرة والأساسية في لبنان، من حيث عدد التلامذة والأساتذة، ومن حيث الإمكانات والقدرات، وتصدر مجلة فصلية فكرية متخصصة باسم "الحياة الطيبة" تعالج فيها مختلف موضوعات الفكر الإسلامي وما يواجهه من تحدّيات عصرية، وهذه المجلة مع شقيقتها "الكلم الطيب" التي يصدرها طلاب الحوزة وأساتذتها توفّران إطلالة فكرية مشرقة وواعدة على الآخرين في لبنان وسوريا.

والعلاقة مع الآخرين توليها إدارة الحوزة أهمية خاصة، إذ تحرص، كما يقول المسؤول عن العلاقات العامّة في الحوزة الأستاذ جواد عواضة، على إقامة أفضل العلاقات مع الحوزة العلمية في لبنان وسوريا، وعقد لقاءات دورية مع المعنيين فيها للتباحث في الشأن الحوزوي والعمل على الارتقاء به نحو الأفضل، كما تحرص على أفضل العلاقات الدائمة مع العلماء والشخصيات الفكرية والإسلامية، وعلى تنميتها في إطار التشاور المستمر معها حول الأهداف والوظائف الملقاة على عاتق الحوزات، وحول القضايا المفصلية الهامة والخاصة المطروحة على طاولة البحث والنقاش.

ويتابع الأستاذ عواضة فيقول:

تحرص الحوزة أيضًا على إقامة أطيب علاقات الحوار والتواصل مع المؤسسات الدينية على الساحة اللبنانية الإسلامية والمسيحية كدار الفتوى وكلية الدعوة ودار الحكمة ومعهد مار بولس للاهوت، ويتم التباحث في قضايا الحوار الإسلامي - المسيحي، وتقريب الرؤى الدينية العامّة بعضها من بعض في النظر إلى ما يجري في العالم من أحداث وتطورات وأزمات.

وفي السياق نفسه يضيف الأستاذ عواضة:

تسعى الحوزة إلى التوأمة مع معاهد ومؤسسات دينية خارجية لفتح أبواب الحوار العلمي والمنهجي ولإغناء الرؤى والأفكار ولإيجاد قواسم مشتركة تُترجم باتفاقات تعاونٍ وتبادلٍ للخبرات العلمية والثقافية.

145 طالبًا، والتعليم أربعة أقسام

انطلقت حوزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في ممارسة العمل التعليمي من شقة متواضعة في منطقة الغبيري وبعد ازدياد عدد الطلاب الوافدين من مختلف المناطق اللبنانية، وبعض الدول الآسيوية والإفريقية، انتقلت إلى مركزها الحالي في مبنى خاص في منطقة حارة حريك، وهو يتألف من خمسة طوابق، يشتمل الأول منها على مكتبة عامّة ومكتبة الصوتية وقاعات للمطالعة، والثاني خاص بالإدارة، والثالث مخصص للصفوف الدراسية، والرابع والخامس مخصّصان للقسم الداخلي بالإضافة إلى مصلّى وقاعة نشاطات ونادٍ رياضي.

ويبلغ عدد طلاب الحوزة اليوم 145 طالبًا، ومدّة الدراسة تمتد إلى ثمان سنوات وفق الأقسام التعليمية التالية:

1 - مرحلة عامة تستغرق أربع سنوات دراسية (المقدمات والسطوح الأولى)، يتأهل الطالب فيها للدخول إلى تخصّصات العلوم والمعارف الإسلامية المختلفة.

2 - مرحلة الدراسات التخصّصية:

ويتخصّص الطالب في هذه المرحلة في مجال الفقه والأصول، وتشمل ستة فصول دراسية تتضمن ستين وحدة دراسية، من بينها أربع وحدات لتحضير الرسالة، ليتأهل الطالب بعدها للدخول إلى مرحلة الدراسات المعمّقة في الفقه الإسلامي المعروفة بمرحلة الخارج.

3 - اختصاص التفسير والعلوم القرآنية:

يمثّل اختصاص الدراسات القرآنية هدفًا مهمّا بالنسبة إلى المعهد لكونه مرتبطًا بالمصدر الأول، والأساس للشريعة الإسلامية.

وهذا الاختصاص يعني المراحل التعليمية العليا التي يتمّ فيها دراسة التفسير والعلوم القرآنية دراسة منهجية متخصّصة. يتخصّص الطالب فيها بمقدار 32 وحدة دراسية بما فيها أربع وحدات دراسية لإعداد الرسالة.

4 - اختصاص الفلسفة والكلام الإسلامي:

وهذا الاختصاص يعني المراحل التعليمية العليا في هذا الحقل، حيث يتمّ فيه دراسة الفلسفة والكلام الإسلامي دراسةً منهجية، نقدية، برهانية.

ويشتمل على 38 وحدة دراسية توزّعت على ستة فصول لمدة ثلاث سنوات دراسية بما فيها أربع وحدات دراسية لتحضير الرسالة، ويتأهل الطالب من خلالها للدخول إلى دراسة معمّقة للفلسفة والكلام.

حفظ العقيدة... والتطوير والتجديد

لا يُسمح بالانتساب إلى حوزة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلا للطلبة الذين حازوا على شهادة البكالوريا (القسم الثاني)، حرصًا من الإدارة على الارتقاء بالمستوى الدراسي في الحوزات العلمية.

خدمة الدين

"رسالة النجف" التقت الطالب علي زين العابدين حرب (24 سنة) وهو حائز على شهادة الليسانس في الفلسفة من كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، ويتابع دراسته فيها لنيل إجازة الدبلوم، أما في الحوزة فهو في المرحلة السادسة (سطوح ثاني)، وقد تحدّث عن سبب دراسته الحوزوية فقال:

اخترت طرق باب الحوزة لأحقق طموحًا لديّ زرعه فيّ الإمام الخميني، وهو خدمة الإسلام وتبليغ أحكامه، خاصة في هذا العصر الحافل بالتحديات التي تواجه الإسلام، ولا بد من وجود علماء الدين لحفظ العقيدة، ولاستكمال المسيرة التي خطّها الإمام الخميني على خطى أجداده من الأئمة الأطهار.

وعن المقارنة بين دارسته الجامعية ودراسته الحوزوية قال الطالب حرب:

قبل الانتساب إلى الحوزة كنت أسمع أن الجامعة تقدم المنهج بينما الحوزة تقدم المضمون العلمي العميق، وقد وجدت أن الحوزة تقدم العلم والمنهج في آن معًا، لأن المنهج المعتمد هو منهج تعليمي متطور، يعتمد المتون والروح العلمية التي سار عليها علماؤنا من السلف الصالح ويحاكي روح العصر الراهن.

التجديد والتطوير

أما الطالب غسان الأسعد (25 سنة) وهو أيضًا حائز على دبلوم في الفلسفة، فتحدث عن المنهج المعتمد في الحوزة فاعتبر أنه منهج تحديثي يحاول إيصال العلم بدون الالتزام بالمنهج السائد مع الحفاظ على الثوابت العامة، وقال:

هناك من يتخوف من التطوير والتحديث في المنهج الحوزوي، ولا مبرر لذلك لأن طبيعة العصر تحتمّ علينا التجديد والتطوير، وهو أمر ليس بجديد إذ سبق لعلماء كبار من علمائنا أن خطوا خطوات تجديدة هامة، أمثال السيد محمد باقر الصدر والشيخ المظفر والسيد محمد حسين الطباطبائي، الذي درّس الفلسفة في وقت كان لا يُسمح بتدريسها في الحوزة.

الشيخ البهائي في قرية إيعات

د.خضر محمد نبها

منزل الشيخ بهاء الدين العاملي في قرية إيعات

دعوة إلى جعله متحفًا وطنيًا

د. خضر محمد نبها*



منذ طفولتي كنت أمرّ قرب جدران خربة مهجورة في قريتي إيعات([1])، ولم أكن أعلم حينها أنه بين هذه الجدران أقام أحد أعظم الشخصيات التي أنجبتها الإنسانية، والذي قال فيه المحب الحنفي: "كان أمّة مستقلة في الأخذ بأطراف العلوم.. وما أظنّ الزمان سمح ولا جاد بندّه"، عنيت به محمد بن الحسين ين عبد الصمد بن محمد بن علي الحارثي الهمداني الجباعي المشهور بـ"بهاء الدين العاملي" (953-1030هـ)، ويشتهر بين الناطقين بالفارسية بـ"بهائي"، وبين الناطقين العربية بـ"بهاء الدين"([2]).

أصله من جباع من جبل عامل، والتي تعرف أيضا بـ"جُبع" أو "جباع الحلاوة"، تمييزًا لها عن قرية أخرى في "الشّوف" من لبنان تحمل الاسم نفسه([3]).

والده الشيخ حسين عبد الصمد، ولد سنة (918هـ)، أي قبل الفتح العثماني لـ"الشام" بأربع سنوات([4])، تتلمذ على يد الشهيد الثاني([5])، وفي سنة (925هـ - 1545م)، ارتحل الشيخ حسين مع أستاذه الشهيد إلى إسلامبول، إلى أن استقرّ معه سنة (953هـ/ 1546م) في مدينة "بعلبك"، وفي هذه السنة رزق بأول ابنيه "بهاء الدين"([6]).

ومن المرجّح أن تكون ولادة "بهاء الدين" في قرية إيعات، لأن المصادر المعتمدة تجمع على أنه كان في مدينة بعلبك، وأن والده أقام فيها، ومما لا يخفى على القارئ أن اسم "بعلبك" كان يطلق دائمًا على ما هو أوسع بكثير من المدينة نفسها، ليشمل المنطقة كلها.



ويؤيّد ما سبق رواية شفهية ما تزال حيّة متداولة حتى اليوم تقول أن بهاء الدين ولد في قرية إيعات، والذي يدعو للاهتمام بهذه الرواية هو أن بعلبك المدينة كانت حتى ذلك الحين حنبلية المذهب، ويشكّل الشيعة فيها أقليّة، في حين أنهم كانوا هم الأكثرية المسيطرة في أرباض المدينة والقرى المجاورة.

وتعرف قرية إيعات بـأنها منذ ذلك الزمان مسكن عائلة تنتسب إلى همدان، القبيلة الشهيرة التي يعود إليها الفضل في نشر التشيّع في بلاد الشام، والتي ظلّت عائلة "بهاء الدين" تفتخر بالانتساب إليها، فلعل الشيخ حسينًا آثر السّكنى بين أقاربه وأبناء مذهبه حين ولد ابنه "بهاء الدين".

ونجد من واجبنا اليوم أن نلفت نظر الغَيَارى، وخصوصًا المعنيين بالشأن الثقافي إلى ضرورة ترميم هذا المنزل، وجعله مزارًا يضمّ التراث العلمي العام للشيخ حسين بن عبد الصمد وابنه العظيم بهاء الدين العاملي، وبذلك نقوم بعمل إحيائيّ بحق الرجل الذي يعتبر بحقّ أحد أعظم الرجال الذين أحتضنتهم بعلبك ومنطقتها.

---

[1] - قرية إيعات تقع شمال غرب مدينة بعلبك، وعلى بعد خمسة كيلومترات منها.

[2] - الشيخ جعفر المهاجر: ستة فقهاء أبطال، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، لبنان، ط1، سنة 1994: ص189

[3] - المصدر نفسه.

[4]- توفي سنة 984هـ، صنف عدة كتب، راجع الشيخ جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، دار الأضواء، لبنان سنة 2000م: 10/88.

[5] - هو زين الدين بن علي العاملي (ت965هـ/ 1558م)، درس الفقه على المذاهب الخمسة في المدرسة النورية في بعلبك، راجع تفصيل سيرته وعمله، الشيخ جعفر المهاجر: ستة فقهاء أبطال، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، لبنان، ط1، سنة 1994، ص186

[6] - صنَّف بهاء الدين ما يزيد على سبعين كتابًا ورسالة في الفقه والرياضيات والفلك والرجال والتفسير، راجع الشبخ جعفر السبحاني: موسوعة طبقات الفقهاء، دار الأضواء، لبنان سنة 2000م: 11/264 و265.

الهوامش

* باحث متخصص في الدراسات الإسلامية.

نقد الشعائر الحسينية، أخطاء في المنهج

الشيخ مصطفى يحفوفي

الشيخ مصطفى اليحفوفي

النّقد علم، وممارسته فنّ، وللعلم أُسسه وقواعده، وللفنّ أصوله ومبادئه، فليس كل رأيّ شخصيّ يطلقه المرء ولا كلّ هوىً يتّبعه في أحكامه يصدق عليه اسم النّقد، بل للنقد قواعد علمية وغايات عملية وضوابط خلقية هي التي تشكّل حقيقته وتحدّد ماهيته وتعيّن مناهجه، وتنأى به عن أن يكون أمرا سائبًا يدّعيه كل مدّع، ويعبث به كل دخيل.

وقد ابتُليت الشعائر الحسينية بقوم من الدخلاء على النقد، نصَّبوا أنفسهم أسيادًا على الرأي وجعلوا أهواءهم مصادر للأحكام، وهم قوم تنقصهم الثقافة النقدية حتى في أبسط صورها.

والحقّ أنّ جانبًا مما يتصل بالمجالس والشعائر الحسينية بحاجة إلى التعديل والتطوير، وفي عملية التعديل والتطوير لا بدّ من النقد، ولكن شتّان بين ناقد مخلص خبير، وبين متعدٍّ مدّع دخيل. وإننا لنشعر بالامتنان لجهود الأول ونبادل عمله بالشكر، ولكننا نشفق على الثاني ونشعر نحوه بالارتياب.

حدود البحث:

يرتكب الدخلاء على نقد الشعائر الحسينية نوعين رئيسيين من الخطأ([1])، يتعلّق أحدهما بالموضوع الذي ينصب عليه النقد وبحيثياته وعناصره، ويتّصل الآخر بقواعد النقد وبأسسه وشروطه، ولنسمّ الأول بـ(**الخطأ المضموني**)، ولنسمّ الثاني بـ(**الخطأ المنهجي**)، ولنوضّح هذين النوعين من الخطأ ببعض الأمثلة:

إذا أخطأ الناقد عند دراسته لشعيرة من الشعائر الحسينية في تحديد زمان نشوء هذه الشعيرة أو مكان نشوئها، أو أخطأ في وصف مسار تطوّرها أو في الحكم على مدى شرعيّتها الدينية... فإن مثل هذه الأخطاء تتعلق بحيثيات الموضوع الذي يتناوله النقد فيصدق عليها مصطلح (**الخطأ المضموني**).

ولكنه لو أخطأ في تعميم ما يشهده من عيوب عند خطيبٍ من الخطباء على الخطباء كافّة، أو أخطأ في إطلاق ما رآه في مجلس من المجالس على المجالس عامّة، أو إذا ما انتقص من دور شعيرة من الشعائر لأنها لم تؤدّ إلى غاية هي ليست من غاياتها أصلاً... فإن مثل هذه الأخطاء تنتج عن الإخلال بأسس النقد وقواعده وهذا ما يجعلها تندرج تحت مصطلح (**الخطأ المنهجي**).

والذي يهمّنا في هذه المقالة هو الإشارة إلى جانب من أخطاء النوع الثاني أي الأخطاء المنهجية، وأما الأخطاء المضمونية فهي بحاجة إلى بحوث أخرى مستقلة، وما قد يرد من إشارات إليها في ثنايا هذه المقالة فهو إنما يرد عَرَضًا وبما تقتضيه ضرورات البيان.

هذا وإن ضيق المجال قد حال بيننا وبين ذكر كل ما يمكن ذكره من الأخطاء المنهجية([2])، ولذلك اكتفينا باختيار بعض النماذج مما رأيناه وافيًا بإعطاء صورة جليّة حول ما يرتكبه أدعياء النقد من هذه الأخطاء وحول ما يُخفيه بريق بيانهم من مجانبة لروح العلم ومن خيانة لمسؤولية الحكم.

وإلى القارئ الكريم بيان جملة من تلك الأخطاء:

- تصور الخطط وتكليف الآخرين بتنفيذها:

إن للموقع الذي تصدر عنه الكلمة دورًا كبيرًا في مدى تأثيرها، فالكلمة عينها قد تجد الرضا والقبول تارة، وقد تُواجَه بالرفض والاستهجان تارة أخرى، والذي يؤثّر قي تفاوت الحالين هو الاختلاف بين الموقعين اللذين تصدر عنهما الكلمة.

فمثلاً لو انتقد أحد الطلاب تعقيد المناهج الدراسية واحتج على ما فيها من خلل، فإن انتقاده يكون مفهومًا واحتجاجه مبررًا، ولكن لو صدر هذا الانتقاد عينه عمن يمتلكون زمام الأمور وتقع على عاتقهم مسؤولية إيجاد الحلول، لكان انتقادهم هذا لغوًا، واحتجاجهم هروبًا من المسؤولية.

والأمر عينه ينطبق على بعض منتقدي الشعائر الحسينية ممن يعتبرون أنفسهم في موقع المسؤولية ومن أولي الشأن وأصحاب الرأي، حيث يقومون بالقدح في النصوص التاريخية للسيرة الحسينية ويصفونها بأنها مملوءة بالخرافات والأساطير ومشحونة بالأخطاء والأباطيل، ويصفون خطباء المنبر الحسيني بالتصنع والتمثيل، ويتهمونهم بالجهل والتزوير، ثم يتناولون بانتقاداتهم المسؤولين عن إقامة المجالس وإدارتها، ويحملون على جمهور المشاركين، ويشنّعون ويقدحون... ولا يكادون يستثنون.

ولكن ما الذي يفعلونه بعد ذلك كله وهم من أولي الأمر ومن أصحاب الشأن كما يدّعون؟! إنهم لا يفعلون شيئًا سوى مطالبة الآخرين ببذل الجهود وبتصحيح الأمور وإبداع الحلول، وهذا ما يجعل تشكيكاتهم في موضع الريبة وانتقاداتهم في موضع الاستهجان.

ولو كانوا من أهل المسؤولية فعلاً، ومن المهتمين بإصلاح الشعائر الحسينية حقًا، لَوجب عليهم أن يحاولوا القيام ببعض ما يستوجبه موقع المسؤولية من الأفعال, فيبادرون قدر إمكانهم إلى إخراج سيرة مصحّحة مقبولة، ويبدؤون بإعداد الخطباء إعدادًا مناسبًا، ويشرعون بتهيئة القيّمين تهيئة ملائمة، ولا يكتفون بالممارسات السلبية

من طعن وتشكيك ولوم وتشنيع مما لا ينتج سوى الإساءة للشعائر، ولا يكون له في مسيرة التغيير والتطوير أدنى نفع.

ولعل في النص التالي للفيلسوف الألماني (كانت) خير تصوير لحال هؤلاء النّقاد ومن هم على شاكلتهم، حيث يقول في تمهيد كتابه "مقدمة لكل ميتافيزيقيا مقبلة يمكن أن تصير علمًا": "كنت أستطيع أن أجعله كتابًا شعبيًا مقبولاً ومفهومًا من الجميع (...) إذا كانت الغاية الوحيدة التي أنشدها هي وضع الخطة التي أكلّف الآخرين بتنفيذها، وإذا كنت لا أهتم بإصلاح هذا العلم الذي شغلت بأموره فترة طويلة (...) إنها لمهمة تافهة تلك التي يقوم العقل بها، أو أنها ضرب من التصلّف الذي يلعب فيه العقل دور المبدع، أن يتصور الخطط ثم يطالب الآخرين ببذل الجهود التي لا يقوى هو على بذلها، ويوجّه لهم اللّوم على الأعمال التي لا يقدر هو على إنجازها، ويقترح المسائل التي لا يعلم هو كيف يكون حلّها"([3]).

فليت الدخلاء على نقد الشعائر الحسينية يفقهون، فيقلّوا من اللّوم، وينجزوا بدلاً من ذلك شيئا من العمل متّبعين الحكمة القائلة:

أن تضيء شمعةً خيرٌ من أن تلعن الظلام ألف مرة.

- فصل الظاهرة عن غايتها

الغاية من ربط العربة بالحصان هي أن يجرّ الحصان العربة، ولكي يمكن تحقيق هذه الغاية فإنه لا بد من وضع الحصان أمام العربة.

وللحكم على مدى جودة برنامج من برامج الكمبيوتر فإنه يجب أولاً معرفة الوظيفة التي صمّم هذا البرنامج لأجلها، إذ لا يصح انتقاد برنامج معدّ للرسم بحجّة أنه لا يفي بأغراض برامج المحاسبة.

فالأمور ترتبط بوظائفها وتحاكم على ضوء غاياتها، والشعائر الحسينية لا تشذّ عن هذه القاعدة، ولا تُستثنى من هذا المنهج، ولكن أدعياء النقد غالبًا ما يقطعون الشعيرة عن غايتها، ويحكمون عليها بمعزل عن وظيفتها.

لذا تجد بينهم من يقترح أن يصار إلى الإحياء الفردي للشعائر الحسينية بدلاً من إحيائها بصورة جماعية، وهو يتغافل بذلك عن بعض الغايات المهمّة لإقامة هذه الشعائر، فإن من غاياتها تعميق الصلات بين المؤمنين المشاركين في إقامتها، ومن غاياتها أيضا التوظيف الاجتماعي لثورة كربلاء...، وهي غايات يتوقف تحققها على المشاركة الجماعية ويستحيل بلوغها بالعزلة والإحياء الفردي.

وتجد آخرين يَدْعون إلى الاقتصار على إقامة الذكرى الحسينية في يوم واحد فقط كاليوم العاشر من المحرّم بدلاً من إقامتها عشرة أيام أو أكثر، وهم يتناسون أن من أهداف إقامة الشعائر تجذيرَ الارتباط بآل بيت النبوّة (عليهم السلام)، وترسيخَ قيم الثورة في النفوس... وهي أمور تحتاج إلى تذكير وتنويع وتكرار, ولا يمكن تحصيلها

بالاقتصار على إقامة الذكرى في يوم واحد أو يومين.

ومنهم من يحمل على الجانب العاطفي في الشعائر مستهجنًا ظاهرة البكاء وذرف الدموع داعيًا إلى الاقتصار على إقامة المؤتمرات وإحياء الندوات، ولعله يجهل أن من بين غايات إقامة الشعائر تأكيدَ الارتباط العاطفي والتفاعل الوجداني بين المشاركين بكل مستوياتهم وبين الثورة الحسينية وما تحمله من أهداف، وأن الأمر لا يقتصر على التفاعل الفكري والوعي السياسي وحدهما.

وبناء على ما تقدّم يظهر جليًا قصور أدعياء النقد عن فهم الشروط اللازمة لكي تحقّق الشعائر غاياتها وتؤدي إلى أهدافها، ولذلك يأتي هجومهم على العديد من طرق إحياء الشعائر من غير إدراك منهم للغايات التي تهدف إليها تلك الطرق، ومن دون فهم للشروط اللازمة لتحقيق تلك الغايات، **فيغدون كمن يريد من الحصان أن يجرّ العربة ولكنه يضع العربة أمام الحصان.**

- عزل الظاهرة عن محيطها

يقتضي المنهج العلمي السليم أن تُدرس الظاهرة في ظلّ محيطها، وأن يُفهم الجزء من خلال الكلّ الذي ينتمي إليه, وذلك لما بين كل قضية وبين بيئتها من ارتباط وثيق يفضي إلى تأثير كل منهما في الأخرى وتأثرها بها.

يقول الدكتور فاخر عاقل في كتابه "مدارس علم النفس": "..أنك حين تراقب إنسانا يمشي, إنما تلاحظ الحركة كمجموع, ولا تلاحظ تفاصيل الحركة, حتى إنّك لتستغرب ما قد يُعرض عليك من صُوَر فوتوغرافية التقطت لهذا المشي"(4).

ويبين الدكتور "علي عبد الواحد وافي" هذا الأمر بالنسبة إلى الظواهر الاجتماعية فيقول: ".. أن من سنّتها الاختلاف والتطوّر، فهي تختلف باختلاف المجتمعات وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف عصوره"(5). ويقول أيضًا: "إن الظواهر الاجتماعية يرتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، ويؤثّر بعضها في بعض، ويتأثّر بعضها ببعض" (6).

ولا تخرج الشعائر الحسينية في جانبها الاجتماعي عن هذه السنن العامة، ولا تشذّ عما تقتضيه تلك السنن من قواعد وأحكام, وعليه فإن المجتمع إذا كان يعاني بشكل عام من بعض مشكلات التطور والتي تؤدي به إلى العجز عن القيام بوظائفه بالطريقة المثالية المرتجاة, فإن هذا العجز سينعكس تلقائيا على كافة البنى والمؤسسات, ولا يختص ببعضها دون بعضها الآخر.

ومن هنا يظهر وجه الخطأ الذي يقع فيه أدعياء النقد حين ينتقدون المستوى الثقافي لخطباء المنبر الحسيني, ويجرِّحون بوعي المشاركين وبأسلوب مشاركتهم, ويحملون على مقاصد المنظمين وطريقة تنظيمهم... ويتغافلون في كل ذلك عن الواقع الاجتماعي العام الذي تقام الشعائر في محيطه.

ولو أنهم التفتوا إلى هذا الواقع لوجدوا أن المآخذ التي يثيرونها تشكل سمة عامة من سمات المجتمع, ولا تقتصر على الشعائر الحسينية بالخصوص, فحال الشعائر والمجالس من هذه الجهة لا تختلف عن حال الجامعة والمستشفى والإدارة العامة والهيئة الثقافية والسلطة السياسية... وإن المرء ليواجه في كل آنٍ ما تعانيه هذه البنى والمؤسسات من مشكلات في الإدارة وطريقة التعامل...

ومن ذلك يظهر أن المشكلات التي قد تعاني منها الشعائر الحسينية في جانبها الاجتماعي إنما هي من نتائج الحالة الاجتماعية العامة وليست سببا لها. وإنه لظلم عظيم ما يقوم به الدخلاء على النقد من عزل الشعائر عن محيطها ومحاكمتها بعد ذلك وكأنها هي العلة المسببة لما يعانيه المجتمع من مشكلات، أو الإيحاء -وعلى أقل تقدير- بأن الشعائر الحسينية ومن بين كل البنى الاجتماعية هي الميدان الوحيد لظهور مثل هذه المشكلات.

ولسنا نقصد بكلامنا هذا تبرير النقائص ولا الغض عن العيوب, ولكننا نقصد طلب الواقعية في الفهم مما يضع كل قضية في نصابها الصحيح, بحيث يبقى السبب سببا والنتيجة نتيجة ولا تختلط الأسباب بالنتائج, وهو ما ييسر إدراك المسائل بصورة موضوعية, ويجعلنا أكثر قدرة على فهم المشكلات واكتشاف ما يلائمها من حلول.

والنقطة الجوهرية التي يجب أن نستخلصها هي أن بعض المشكلات الاجتماعية لا يمكن إيجاد الحلول لها بصفتها الفردية وبصورة تجزيئية, وإنما يكمن الحل في تغيير الروحية العامة السائدة, ثم وكنتيجة لذلك سوف تظهر آثار التغيير في كل زاوية من زوايا المجتمع, وذلك من قبيل ما يصنعه المزارع الخبير حين تصيب آفة من الآفات إحدى شجرات بستانه فتظهر آثار ذلك على الثمرات التي تحملها هذه الشجرة,فإنه لا يسعى في هذه الحال إلى علاج كل واحدة من الثمرات بمفردها, ولكنه يتوجه إلى الأصل الذي نتجت عنه تلك الآفات, فيعالج الجذع أو الجذور - مثلاً - لتتعافى وكنتيجة لذلك كل الثمار.

والخلاصة هي أن أي نقد للظواهر الاجتماعية إذا أراد أن يكون نقدا علميا ومخلصا, فعليه أن يكون مدركا للدرجة التي يشغلها المجتمع في سلم الحضارة والتطور, وأن يكون على معرفة بالخصائص العامة للمجتمع, ثم يربط بين هذين الأمرين وبين الظاهرة التي يدرسها, ليصدر بعد ذلك أحكامه ويقترح طرق العلاج وأساليب الحلول.

ولذلك يمكننا القول بأن كل نقد وكل اتهام للشعائر الحسينية لا يستمد عناصره من الواقع الاجتماعي القائم فهو نقد متهم, ولو أحسنا الظن فيمكننا أن نقول: إنه نقد جاهل.

يتبع =

---

[1] - نطلق في هذه المقالة لفظ (الخطأ) على كل فكرة أو قاعدة تجانب الحق والصواب سواء كان السبب في ذلك الغفلة والاشتباه أو التعمّد والقصد.

[2] - من أمثلة ذلك: الاجتزاء من النصّ الواحد، وانتقاء نصّ وتجاهل ما يعارضه، والتعميم في غير موارد التعميم، وتعمد التزييف والتحريف، وأمثال هذه الأمور...

[3] - كانت: مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما، تعريب الدكتورة نازلى إسماعيل حسين، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1388 هـ -1968م، ص 50-51.

4 - د. فاخر عاقل: مدارس علم النفس, دار العلم للملايين, بيروت, ط3, 1977, ص 150.

5 - د. علي عبد الواحد وافي: علم الاجتماع, دار نهضة مصر للطبع والنشر, الطبعة الثانية, ص 7.

6 - نفسه, ص 34.

.

تتمة مقال = نقد الشعائر الحسينية

- الوزن مع خلل الميزان

يقيس العقلاء المسافة بالأمتار مثلاً، وثقل الأجسام بالكيلوغرامات، ويحكمون على صحة الأفكار بمطابقتها للواقع، ويقدِّرون القيم الخلقية بأثرها على التكامل المعنوي للإنسان، ويجعلون الذوق الشخصي معيارًا للرغبة في بعض المحسوسات كالطعام والشراب..

فهم يبنون أحكامهم في الميادين المختلفة على معايير محدّدة وموازين معيّنة ولا يطلقونها على هواهم وكيفما شاؤوا، كما أنهم يراعون في معاييرهم هذه شرطين أساسين هما: **التناسب، والوحدة**.

ونقصد بـ**"التناسب"** أنهم يتّخذون لكل نوع من أنواع القضايا ميزانًا يلائم طبيعة تلك القضايا، فيجعلون ميزان صحة الأفكار مطابقتها للواقع، وميزان السّعة هو الليتر وهكذا...

ونقصد بـ**"الوحدة"** أنهم إذا اتخذوا ميزانًا معيّنًا لتقويم أمر من الأمور فهم يحافظون على هذا الميزان نفسه في كل ما يماثل ذلك الأمر ويتفق معه في حقيقته، ولا يزِنون أمرين متماثلين بميزانين مختلفين، فإذا اتخذوا التكامل ميزانا للأخلاق فإنهم يستخدمون هذا الميزان في كل قضية خُلقية، ولا يحكمون على إحدى القضايا الخُلقية بمعيار التكامل المعنوي وعلى قضية خلقية أخرى بالذوق الشخصي مثلاً.

هذا هو الطريق العقلائي في بناء الأحكام، وهو ما يفرضه المنهج السليم أيضًا.

ولكن عندما تصل النوبة إلى الشعائر الحسينية, فهنالك تختلط الأوراق لدى الدخلاء على النقد وتلتبس المقاييس ويصير الكل قضاة.

فهذا يحكم على أساس ما يتصوّره من ردّة فعل عند الآخرين، وذاك يقضي على ضوء بعض مصطلحات الحضارة الغربية، وثالث يتخّذ من ذوقه الشخصي ميزانًا للحكم..

ومن أمثلة ذلك موقفهم من شعيرة اللطم على سيد الشهداء (عليه السلام)، فهم يرون أن هذه الشعيرة يجب أن تترك وتمحى من قائمة الشعائر، وحجتهم في ذلك هي أن أسلوب اللطم **أسلوب تقليدي**، لا يناسب **عصر الحداثة** والتطوّر، ويقولون إن **الشعور القلبي** يكفي فلا نحتاج إلى هذه المظاهر، ويذهبون إلى أن هذه الشعائر **تُسيء إلى التشيّع**...

ولو رضينا بمثل هذه الموازين، وسلّمنا بملاءمتها للحكم على الشعائر الدينية، لغدا من المناسب أن يترك المؤمنون صلاة النوافل، لأن الشعور القلبي يكفي.

ولتحتم علينا أن نحرّم تعدّد الزوجات لأنه لا يناسب عصر الحداثة، ولأن أعداء الدين الحنيف يتخّذونه وسيلة للتشنيع على شرعنا المقدّس...

وإذا أراد أدعياء النقد أن يتخلّصوا من مثل هذه التبعات التي تؤدّي إليها مقاييسهم فإن عليهم أن يختاروا بين أمور:

فهم إما أن يقرّوا بخطئهم ويعترفوا بأن موازينهم لا تلائم القضايا الشرعية، وعليهم حينئذٍ أن يبدّلوها ويأتوا بموازين أخرى تكون أكثر ملاءمة، وإما أن يظلوا على موقفهم ولكن يلجؤون في الحكم على مثل صلاة النوافل وتعدّد الزوجات إلى موازين أخرى مغايرة لموازين الحكم على الشعائر الحسينية، فيُخلّون بذلك بشرط وحدة الميزان في القضايا المتماثلة.

ولهم أخيرًا أن لا يفعلوا لا هذا ولا ذاك, بل يتمسكون بمقاييسهم هذه ويتّخذونها موازين حتى في مثل صلاة النوافل وتعدد الزوجات، ولكن عليهم أن يرضوا عندها بما يترتب على ذلك من نتائج وتبعات, فيحرّمون المباحات ويستغنون عن المندوبات.

وهنيئًا لهم ما يوقعون أنفسهم فيه.

- التهويل والتوهين

ليس علماء الطبيعة هم وحدهم من يمتلكون كيمياء خاصة بهم تمكّنهم من إجراء التحويلات في عالم المادة، بل لأدعياء النقد أيضًا كيمياؤهم المميّزة والتي يستطيعون من خلالها تغيير الحقائق وقلب الوقائع، ويشغل أسلوب التهويل والتوهين محلّ اللبّ من هذه الكيمياء، فهو يُمكّنهم من تحويل الحبّة إلى قبّة والقبّة إلى حبّة.

ولذلك فهم يتفنّنون أيّما تفنّن في استخدام هذا الأسلوب في نقدهم للشعائر الحسينية فيهوّلون ويوهنون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ومن مظاهر تهويلاتهم ما يرسمه بعضهم من صور كاريكاتورية لطريقة خطباء المنبر الحسيني، ولأسلوب إلقائهم, ولتعابير وجوههم, ولنبرات أصواتهم, مما يُشعر المرء وكأنه يشاهد بعض الممثلين الهزليين وهم يؤدّون أدوارهم على خشبة المسرح.

ومن مظاهر تهويلاتهم أيضًا ما يتعمَّده بعضهم من اختيارٍ لمصطلحات مسيئة يقرنها بالشعائر الحسينية, وذلك من قبيل: الجهل والتخلّف والرياء والخرافة...، وهو يحرص على زجِّ هذه المصطلحات في العبارات التي يستخدمها وفي عناوين الموضوعات التي يكتبها، ليتحفنا بعباراته وعناوين من قبيل: **(الشعائر الحسينية والتخلّف)، (الشعائر الحسينية ومظاهر تعذيب الذات)، (مؤسسات صناعة الأساطير)**... حتى ليتبادر إلى الذهن أن أمثال هذه المصطلحات والعناوين تمثل كل حقيقة الشعائر وتبين كل واقعها, وليس وراء ذلك من أمر سواه.

أما كيمياء التوهين فإنها تتجلّى عند هؤلاء النقّاد في تصغيرهم لوظيفة الشعائر وفي تقليلهم من شأن ما تقوم به من دور, سواء على المستوى الفكري أو النفسي أو الاجتماعي... ولذلك فهم يدعون إلى تقليص المشاركة بإحياء الذكرى الحسينية, والى اختصار زمان إقامة الشعائر ويحضُّون على الاكتفاء بالمشاركة الرمزية، بل يقترحون استبدال الشعائر بإقامة بعض المسرحيات ومشاهدة بعض التمثيليات.

هذه هي كيمياؤهم، وهي كيمياء شائعة في المجتمعات التي تعاني من مشكلات التخلف، حيث يصار إلى تضخيم الحقائق أو تصغيرها مما يزيد في تعقيد الحلول, بدلاً من رصد الأمور بشكلها الواقعي وإظهارها بصورتها المجردة ليتسنى بذلك إدراك السبل الصحيحة لإحداث التغيير والتعديل.

وقد شخّص المفكّر الجزائري "مالك بن نبي" هذه الظاهرة، فعبّر عنها بقوله: "إنها طريقة مخدّرة في التفخيم أو التصغير، فيقال: (كل الدنيا تعلم ذلك) عندما يراد تأييد رأيٍّ، أو يقال: (لا أحد يعتقد ذلك) للانتقاص من رأي آخر، وباختصار إنه حشو الكلام، حيث نجد الكلمة - بدلاً من أن توضح المعنى - تقتصر على إلقاء ظلّ جديد يزيد في غموضه"(7).

وما أدق هذا التشخيص في وصف حال أدعياء النقد, حيث تكثر الظلال التي يلقونها على الشعائر الحسينية بدلاً من أن يحاولوا الإيضاح وابتكار الحلول.

- المنهج الظلامي

يلاحظ بعض الناس القسم الفارغ من الكأس فقط ويعمَون عن ملاحظة قسمه الملآن، ويرى آخرون القسم الملآن منه ولا يرون قسمه الفارغ، وكلا الفريقين يخطئ الحقيقة, ويخالف ما يدعو إليه المنهج القويم من الموضوعية في الرؤية، وذلك بأن يلاحظ الكأس كله وبقسميه الفارغ منهما والملآن.

والمائز الجوهري بين الفريقين هو أن الفريق الأول محجوب عن الحقيقة الكاملة بحجب ظلمانية، وأما الفريق الثاني فهو محجوب عنها بحجب من نور.

والدّخلاء على نقد الشعائر الحسينية هم من أتباع الفريق الأول المحجوب عن الحقيقة بالحجب الظلمانية، ولذلك فهم يبالغون في تحسّسهم النقائص مما قد يعرض على بعض الممارسات، ويوغلون في إظهار العيوب، ولكنهم - في المقابل - لا يكادون يبصرون ذرّة من خير ولا قطرة من عطاء, فهم يتعمّدون تقصّي النقائص وضمها إلى بعضها وتكرار الحديث حولها، ويسكتون في الوقت نفسه عن جوانب الخير وعن جهات النفع، بل إن بعضهم يبدو وكأنه قد صار من أصحاب الاختصاص في التجريح بالشعائر، ولا علاقة له مطلقًا بما تتضمنه هذه الشعائر من إيجابيات.

وهذا ما يشكل انحرافا عن الموضوعية، وسقوطا في منهج الظلمات، أعاذنا الله من الوقوع في شراكه، ومن العلوق بحبائله فإنه من مصائد الشيطان.

كلمة ختامية

يظهر مما تقدم مدى خطورة الآثار المترتبة على عملية النقد, فالنقد أداة حساسة من أدوات المعرفة, واستخدامه مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق الإنسان, فلا ينبغي أن يتصدى له الجاهل بقواعده وشروطه وغاياته, فإن المعرفة الإنسانية - ومن جملتها النقد - نعمة إلهية عظيمة شرَّف الله بها الإنسان, فلا ينبغي له كفرانها بالتجاوز عن قواعدها والإخلال بشروطها, كما لا ينبغي له خيانتها بالتوسل بها إلى غير غاياتها, ولذلك يجب أن يُتَخذ من النقد وسيلة للبناء والتطوير, ولا يُجعل مجرد أداة للهدم والتخريب.

انتهى المقال

---

7 - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي, تعريب محمد عبد العظيم علي, دار الفكر, بدون تاريخ, ص 80.

أبعاد النهضة الحسينية المباركة

الشيخ أحمد صمادي

الشيخ أحمد صمادي *

مقدمة:

كانت واقعة الطف ولا زالت الحادثة الأبرز والأهم بين حوادث التاريخ الإسلامي، فلا بد من تسليط الضوء على جملة من أبعادها للاطلاع على أسرارها وعظمتها.

ورغم كل ما كتب وألّف في السيرة الحسينية، إلا أن تلك الكتابات لم تلمّ بكل خصائص وميزات هذه الواقعة المباركة، فللنهضة الحسينية أبعاد وجوانب متعدّدة تستحق الدراسة والبحث والتأمل، فهناك البعد الإنساني الشامل، وما تركته هذه النهضة من أثر في الفكر والضمير العالمي، وهناك البعد الكوني وتفاعل غير الإنسان بل حتى الجمادات مع هذه الواقعة الأليمة، وهناك البعد الديني وما يمليه التكليف الشرعي من القيام في وجه من أرادوا محو الدين والقضاء على الشريعة والسنن، وهناك البعد العبادي ومناجاة الخالق والاتصال به حتى في أحلك الظروف، وهناك البعد الأخلاقي وتعامل الحسين (عليه السلام) مع عدوّه الشرس في إطار الخُلق العظيم الذي يتحلّى به النبي وآل البيت صلوات الله عليهم، وهناك البعد العسكري وطبيعة المواجهة بين معسكر الإمام والمعسكر الأموي وما قام به الإمام (عليه السلام) من تكتيكات عسكرية، وهناك البعد الزمني لأن النهضة لا تحدّ بليل أو نهار بل هي متلألئة في سماء الدهر وأفق التاريخ، وهناك البعد المكاني والجغرافي وعدم ارتباط هذه النهضة بمكان معين، وسنشرع بالبحث في هذه الأبعاد مستمدّين العون من الله تعالى.

البعد الإنساني

إن الناس على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم قد تأثّروا بهذه النهضة التي أثّرت في قلب كل من سمعها وفي كل أحرار العالم، رغم المحاولات التي قام بها بنو أمية لطمس الحقيقة، فقد دخل حب أهل البيت (عليهم السلام) وحبّ الحسين (عليه السلام) إلى أفئدة الناس, ولم يقتصر على أتباع أهل البيت أعزهم الله، فقد تأثّر بهذه النهضة أناس كثيرون قديمًا وحديثًا في أرجاء المعمورة، نذكر على سبيل المثال:

أ - الراهب ورأس الحسين (عليه السلام):

روى المؤرخون قصة الراهب الذي رأى رأس الحسين (عليه السلام) عندما كان منصوبًا بجنب صومعته في "قنسرين"، حيث كان النّور يتصاعد منه إلى السماء، فوعد الجلاوزة بعشرة آلاف درهم مقابل إعطائه الرأس الشريف تلك الليلة، ففعلوا، وقد رأى ذلك الراهب تلك الليلة العجائب من الرأس الشريف، فأسلم و تشهّد

الشهادتين(1).

ب - رسول ملك الروم:

كان هذا الرسول من أشراف الروم وعظمائهم، وقد دخل إلى مجلس يزيد(عليه اللعنة) فوجده يشرب الخمر والرأس أمامه، فسأله: رأس من هذا؟ فلما عرف أنه رأس ابن بنت رسول الله قال له متأثرًا: أفٍّ لك ولدِينك، إن أبي من أحفاد داود (عليه السلام) وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظمونني ويأخذون من تراب قدمي تبركًا، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما بينه وبين نبيكم إلا أمّ واحدة، فأيّ دين دينكم!.

ثم قال ليزيد: هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟ فقال له: قل حتى أسمع فقال: بين عمّان والصين بحر مسيرة سنة، ليس فيها عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء طوله ثمانون فرسخًا في ثمانين فرسخًا، ما على وجه الأرض بلدة مثلها، يحمل الكافور والياقوت أشجارها العود والعنبر، وهي في أيدي النصارى لا ملك لأحد من الملوك فيها سواهم، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حقّة ذهب معلّقة فيها حافر، يقولون إن هذا حافر حمار كان يركبه عيسى (عليه السلام) وقد زينوا حول الحقّة بالديباج، يقصدها في كل عام عالم من النصارى ويطوفون حولها ويقبّلونها ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى عندها، هذا شأنهم ورأيهم بحافر حمار يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى (عليه السلام) نبيهم، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، فلا بارك الله تعالى فيكم ولا في دينكم، فأمر يزيد بقتله حتى لا يفضح بني أمية، فقُتل بعد أن تشهد الشهادتين(2).

ج - رأس الجالوت:

وقد روى ابن لهيعة: عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن قال: لقيني رأس الجالوت فقال: والله بيني وبين داوود لَسبعين أبًا، وإن اليهود تلقاني فتعظّمني، وأنتم ليس بين ابن نبيكم وبينه إلا أبٌ واحد، قتلتم ولده!(3).

د - د. بولس سلامة:

وهذا بولس سلامة الشاعر النصراني المعروف الذي أثّر الطفّ في أحاسيسه، فأنشد يقول عن كربلاء:

من رآها بكى ومن لم يزرها	حمل الريح قلبه تذكارا
كربلاء ستصبحين محجًا	وتصيرين كالهواء انتشارا
ذكرك المفجع الأليم سيغدو	في البرايا مثل الضياء اشتهارا
فيكون الهدى لمن رام هديا	وفخارًا لمن يروم الفخارا
كلما يذكر الحسين شهيدًا	موكب الدهر ينبت الأحرارا

هـ - وهذا "حافظ إبراهيم خير الله" الذي زار كربلاء سنة 1975 م، وقد تأثّر وارتعش وذهل وبكى عندما دخل مقام الحسين (عليه السلام)، وسجّل انفعالاته في مقال نشرته مجلة الحوادث في عدد 9/5/ 1975 ومن جملة ما جاء فيه:

"دخلت مقام الحسين (عليه السلام) فصعقت وذهلت, هوذا من استشهد فأصبح رمزًا للانتفاض على الظلم، هوذا من استشهد في سبيل العدل وترك الملايين تتطلع إليه مثالاً للإنسانية وأفنى جسده في سبيل الكمال البشري. الحسين استشهد بعد أن شهد مصرع رجاله وأطفاله حتى اللحظة الأخيرة من حياته، بقي يشهد ظلم الإنسان للإنسان، كثير والله هذا,... كل من جاء إلى كربلاء جاء لتحسين مرآة الضمير والوجدان في نفسه".. إلى أن قال: "بعد ربع ساعة وجدت نفسي أبكي ثم أبكي ثم أبكي".

وقد تعرّض إلى هذا المقال الشيخ مغنية رحمه الله في كتابه "صفحات لوقت الفراغ".

وفي سنة 1937 زارت الكاتبة والموظفة في الاستخبارات البريطانية (فرايا ستارك) العراق، ولمدة أسبوع، وتجوّلت في أرجائه، ومن جملة ما دوّنته في كتابها (صور بغدادية):

وعلى مسافة غير بعيدة عن الكوفة جُعجع بالحسين إلى جهة البادية، وظلّ يتجوّل حتى نزل في كربلاء، فقُتل قتلة فظيعة مع أهل بيته بعد أن مُنع عنهم الماء, وقصّة قتله هذه من القصص القليلة التي تقول (فرايا ستارك) أنها لا تستطيع قراءتها من دون أن ينتابها البكاء**(5)**.

بل تأثر بالنهضة حتى غير أصحاب الديانات السماوية مثل غاندي الزعيم الهندوسي المعروف الذي اشتهر عنه: "تعلمت من الحسين كيف أكون مظلومًا فانتصر"... "لو كان لي عشرة رجال من أصحاب الحسين لفتحت العالم".

إلى غير ذلك من الكثيرين الذي ألفوا الكتب عن الإمام الحسين، كأنطوان بارا الذي ألف كتاب (الحسين في الفكر المسيحي)، والعقّاد الذي ألف (أبو الشهداء)، وابن عساكر (ترجمة الإمام الحسين)، والمؤرخ محمد بن جرير الطبري (استشهاد الحسين)، والشيخ العلايلي (الإمام الحسين "عليه السلام")، وغيرهم الكثير.

ناهيك عمّن ألف في النهضة الحسينية من أصحاب المذهب ومن الشعراء الذين جمع السيد جواد شبر بعض شعرهم في عشرة مجلدات، وقال في مقدمة كتابه: "ولا أريد أن أجمع كل ما جاء من شعر في الإمام الحسين ويوم الحسين (عليه السلام)، ولا أقدر أن أقوم بذلك بل غايتي أن أعرض نماذج من شعرهم وأعدد أسماءهم و أدوارهم وعصورهم... نعم إن الشعر الذي قيل في الحسين (عليه السلام) يحتاج إلى مئات المجلدات"**(6)**.

البعد الكوني

إن لنهضة الحسين (عليه السلام) بعدًا كونيًا، فلا ينحصر التأثّر بمصابه على الإنسان وحده أو على هذه البسيطة التي نعيش عليها، فقد بكته الملائكة كما في الكثير من الروايات.

ذكر ابن قولويه في كامل الزيارات عشرين حديثا تحت عنوان بكاء الملائكة على الحسين (عليه السلام)**(7)**، وعقد فصلاً آخر في نَوْح الجنّ على الحسين (عليه السلام)، ذكر فيه عدّة أحاديث**(8)**، وذكر أحاديث في نَوح الطيور كالبوم**(9)**، وجاء في زيارته (عليه السلام): (لقد عظمت الرزية، وجلّت وعظمت المصيبة بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام، وجلّت وعظمت مصيبتك في السماوات على جميع أهل السماوات)**(10)**.

بل وردت روايات في بكاء السماء والأرض على الحسين (عليه السلام)**(11)**، بل في بعضها أن السماء بكت دمًا على الحسين (عليه السلام)، فعن الصادق (عليه السلام) أنه قال لابن شبيب: (يا بن شبيب، لقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن جده (عليه السلام): أنه لما قتل جدي الحسين (صلوات الله عليه)، مطرت السماء دمًا وترابًا أحمر)**(12)**.

وذكر ابن نما الحلي وغيره، أن البلاذري قال في مختاره: "مطرت السماء دمًا يوم قتله، وما قُلع حجر بالشام إلا وتحته دم عبيط، قال عبد الملك بن مروان للزهري: إن أخبرتني أيّ علامة كانت يوم قتل الحسين بن علي (عليهما السلام)؟ قال: لا يُرفع حصاة ببيت المقدس إلا وُجد تحتها دم عبيط"**(13)**.

بل بكاه (عليه السلام) من يتقلّب في الجنة والنار من خلق ربّنا - كما جاء في الزيارة المطلقة الأولى والتي رواها المحمّدون الثلاثة في كتبهم - وقال عنها الصدوق (رحمه الله) في من لا يحضره الفقيه: "وقد أخرجت في كتاب الزيارات، وفي كتاب مقتل الحسين عليه السلام أنواعًا من الزيارات، واخترت هذه لهذا الكتاب لأنها أصحّ الزيارات عندي من طريق الرواية، وفيها بلاغ وكفاية والتي يقول فيها الإمام الصادق (عليه السلام): أشهد أن دمك سكن في الخلد، واقشعرت له أظلّة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، ومن يتقلب في الجنّة والنار من خلق ربنا، وما يُرى وما لا يُرى"**(14)**.

البعد الديني

إن واقعة كربلاء وما ترتّب عليها من آثار ومواقف، جاءت نتيجة لموقف الإمام الحسين الشرعي، وانطلاقًا من مبدئه السامي، فقد رأى الإمام الحسين أن تكليفه الديني يحتّم عليه السير إلى العراق لإصلاح ما فسد في الأمة، ليحقّ الحق ويبطل الباطل، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويسير بسيرة جده وأبيه صلوات الله عليهما كما صرح (عليه السلام) قبيل خروجه قائلاً: إني لم أخرج أشرًا ولا بطراً ولا مفسدًا ولا ظالما، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي محمد (صلى الله عليه وآله)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد (صلى الله عليه وآله) وأبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين**(16)**.

حتى وإن كان هذا الموقف يعرّض الحسين (عليه السلام) مع أهل بيته للتشريد والقتل ما دام في ذلك إحياءً لأمر الله وحفظًا لشرعه ونصرة لدينه ومرضاة لرب العالمين، ما دام الواجب والتكليف يحتّم عليه القيام، ولذا لم يبايع (عليه السلام)، لأن المبايعة تعني الإمضاء لبني أمية وإظهار أحقيّتهم في الخلافة وأن عليًا وأبناءه وشيعتهم على

باطل، وموقفه هذا هو نفس موقف أصحابه الذين استشهدوا معه، فإنه نابع من إيمان عميق لا يتزلزل ونوايا صادقة ونفوس طاهرة ولم يكن إتباعهم للحسين (عليه السلام) لأجل منافع شخصية أو مادية بل كانت غايتهم رضا الله تعالى والنصرة لابن بنت نبيهم، وهذا واضح من أفعالهم وأقوالهم، وقد أخبر (عليه السلام) بأنهم يستأنسون بالمنيّة دونه استيناس الطفل بمحالب أمّه، وقال عنهم: لا أعلم أصحابًا أولى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنى جميعا خيرًا. وقد واجهوا أعداءً فقدوا الروح المعنوية ولم يكن لهم هدف سوى الباطل جُلبوا إلى ساحة كربلاء ترغيبًا أو ترهيبًا وخوفًا أو طمعًا في مال أو جاه أو سلطان**(17)**.

البعد العبادي

الحصار والموقف الرهيب الذي عاشه الحسين (عليه السلام) وأنصاره في كربلاء لم يقلّل من عبادتهم لله تعالى، فقد أبى الحسين (عليه السلام) إلا أن تكون ليلة العاشر من محرم كبقية الليالي، مُحياة بالعبادة والاتصال بالله فإنه كوالده أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي لم يترك العبادة ومناجاة الله في جوف الليل حتى في أحلك الظروف والأوقات، وليلة الهرير في صفين شاهدة على ذلك، فقد كان (عليه السلام) يتعبّد لله بين السهام والرماح**(18)**، وعلى نهجه سار أبناؤه الطاهرون، وهذا واضح من سيرتهم (عليهم السلام)، حتى إذا جنّ الليل تجدهم يبحثون عن مكان يخلون فيه إلى ربهم لأنهم لا يأنسون إلا بلقائه تعالى، لذا طلب الحسين (عليه السلام) من أخيه العباس أن يستمهل القوم إلى الغد، لأن الحسين (عليه السلام) يحبّ الصلاة لله وتلاوة القرآن والدعاء والاستغفار**(19)**، فودّع الحسين (عليه السلام) وأصحابه تلك الليلة بالعبادة وكان لهم دوي كدويّ النحل، وهم ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد حتى الصباح، وقد ورد أن ليلة عاشوراء هي إحدى الليالي السبعة التي تُحيا في السنة**(20)**، فكان الحسين على موعد لتشهد ساحة كربلاء إحياءه (عليه السلام) لتلك الليلة على هذه الأرض الطاهرة المباركة، وقد كست هذه العبادة في ليلة العاشر من المحرم أصحاب الحسين أنوارًا ربانية هذّبت نفوسهم، وشحذت قلوبهم، وصقلت عقولهم، وهم مع إمام زمانهم وحجة الله على خلقه حبيب رسول الله سيد شباب أهل الجنة، فاستعانوا بها على أعدائهم وحقّقوا بواسطتها أعظم انتصار عرفه التاريخ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على غاية التفاني في الله تعالى والتعلّق به والإخلاص إليه، وكما كان أمير المؤمنين يراقب زوال الشمس في صفين وهو منشغل بالحرب وقتال الأعداء ليصلي الظهر في وقتها - وقد روي أن هذا الموقف أثار ابن عباس، فسأل الإمام (عليه السلام) مستنكرًا: وهل هذا وقت صلاة؟ فأجابه (عليه السلام): علامَ نقاتلهم! إنما نقاتلهم على الصلاة ـ**(21)**.

فكذلك فعل ولده الحسين (عليه السلام) ظُهرَ يوم العاشر من محرم، فإنه لم يؤخّر الصلاة، بل أداها في وقتها مصليًا صلاة الخوف بحوالى نصف أصحابه مع وقوف البقية يدافعون عن المصلين، بعد أن رفض القوم إيقاف القتال لأداء الصلاة، وهذا ما يميّز هذه النهضة من بين الثورات في أبعادها المختلفة، لا سيّما العبادي منها**(22)**.

يتبع =

االهوامش

1- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، مطبعة الحيدري، النجف الأشرف: ج 3 ص 217.

2- اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس الحسني، مطبعة مهر قم: ص 110.

3- نفس المصدر السابق؛ والعقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ط بيروت سنة 1983: 4/383.

4- مجلة الحوادث، بيروت: عدد 5/9/1975.

5- موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف1، الشيخ الخليلي: ص 323.

6- أدب الطف، ط مؤسسة التاريخ بيروت: 1/17-18.

7- كامل الزيارات، المطبعة المرتضوية، النجف، سنة 1356: 83-86.

8- نفس المصدر: 93-97.

9- نفس المصدر:99.

10- مصباح المتهجد، الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ط1: ص774.

11- كامل الزيارات: 88-92.

12- الآمالي للصدوق، ط مؤسسة البعثة، قم،: ص192.

13- مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف: ص63.

14- مفاتيح الجنان، الفقيه، دار الأضواء، بيروت، ط2: 2 /444؛ الكافي، دار الأضواء، بيروت: 4/563؛ التهذيب، دار الكتب الإسلامية، تحقيق السيد حسن الخراسان، ط4: 6/55.

وعلق الشيخ علي أكبر الغفاري المحقق لنسخة دار الكتب الإسلامية قائلاً: "قيل: لعل المراد أنه بكت عليه جميع سكان السماوات وجميع أهل الأرض والسماوات والأرض كنايتان عن أهاليهما. وإن كان بكاء السماوات والأرضين عليه أمر لا يستبعده إلا شرذمة"، الكافي: 4/575.

16- العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، البحراني، مطبعة أمير، قم: ص 179.

17- تاريخ الطبري، تحقيق نخبة من العلماء، الأعلمي بيروت: 4/ 317؛ الصحيح من السيرة، دار الهادي، بيروت، ط4: 7/356.

18- ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي، دار الأسوة: 1/453.

19- الإرشاد، للشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت: 2/91.

20- وسائل الشيعة، منشورات المكتبة الإسلامية: ج5 ص241، ح10 باب 8 من أبواب صلاة ليلة النصف من شعبان وكيفيتها...

21- كشف اليقين، للعلامة الحلي، تحقيق حسين الدركاهي: ص 122.

22- لواعج الأشجان، للسيد الأمين، مطبعة بصيرتي: ص 156.

.

تتمة مقال =

البعد الأخلاقي

لقد تجسدت الأخلاق المحمدّية في واقعة الطفّ بأروع معانيها، فقد تعامل الحسين (عليه السلام) بالأخلاق الكريمة حتى مع أعدائه الذين أرادوا القضاء على الإسلام بما يمثّله من خلق رفيع، فأعاد الحسين (عليه السلام) إليه الحياة بتعامله وخلقه العظيم، وروى شجرته الطيبة من دمائه الزاكية ودماء آل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين، فكان سلام الله عليه يحسن إلى المسيء ويعطي البخيل ويحلم عن المبغض والمعاند، وهو في أحلك الظروف وأصعبها، ورغم ما حلّ به وبأهل بيته من مظلومية ومصائب، لأنه قام من أجل إحياء دين جده المصطفى الذي حصر بعثته بإتمام مكارم الأخلاق، فقد جسّد ريحانة المصطفى صلوات الله عليه في هذه الملحمة معاني العزة والإباء والشجاعة والكرامة والإيثار والتفاني والثبات على المبادىء والصبر على النوائب والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الدين والوقوف بوجه الظلم والفساد، فقد كان همّه (عليه السلام) هداية الناس وإنقاذهم من الضلالة وحيرة الجهالة، وقد تأذّى (عليه السلام) لحال أولئك الناس الذين اجتمعوا من كل حدب وصوب لقتاله، لأنهم سيدخلون النار بسببه، وقد برزت هذه الأخلاق في عدّة محطات ومواقف من واقعة الطف, فقد جاء في بعض الروايات أنه لما جاء الحر بن يزيد الرياحي على رأس ألف فارس لمحاصرة الحسين وأخذه إلى الكوفة بأمر من ابن زياد، ودبّ العطش في جيشه وخيله، سقاهم الحسين ورشف خيلهم ترشيفًا، فقال (عليه السلام) لفتيانه: (اسقوا القوم وأَرْوُوهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفًا)، ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا عزلت عنه وسقوا آخر، حتى

سقوها كلها. فقال علي بن الطعان المحاربي: (كنت مع الحر يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: (أنخ الراوية أي السقاء، ثم قال: يا ابن أخي أنخ الجمل، فأنخته فقال: اشرب، فجعلت كلما شربت سال الماء من السّقاء، فقال الحسين عليه السلام: اخنث السقاء - أي اعطفه-، فلم أدر كيف أفعل، فقام فخنثه فشربت وسقيت فرسي)**(23)**.

وفي ساحة المعركة أسرع إلى جون الحبشي مولى أبي ذر الغفاري عندما سقط شهيدًا على أرض كربلاء ليعانقه، كما أسرع إلى مصرع ولده علي الأكبر، ودعا له بأن يبيّض الله وجهه وأن يطيب ريحه وأن يحشره مع الأبرار ويعرّف بينه وبين محمد وآله صلوات الله عليهم، مجسدًا لقول جده (صلى الله عليه وآله) لا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى ويحدث الباقر عن أبيه السجاد أنه كان يفوح من جسد جون رائحة المسك**(24)**.

وكيف لا يكون كذلك وهو ريحانة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وهو الذي حيّته جارية من جواريه بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرّة لوجه الله تعالى، فقيل له: تجيئك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟ قال: كذا أدّبنا الله، قال الله تعالى **{وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا }**(سورة النساء 86.) وكان أحسن منها عتقها**(25)**.

البعد العسكري

اتخذ الإمام الحسين (عليه السلام) عدّة تدابير عسكرية إجراءات وقائية لحماية أهل بيته والاستعداد لمواجهة الأعداء:

(الأول): التعبئة المعنوية التي وصل إليها أصحاب الحسين (عليه السلام)، فقد كان أنصاره يتمتعون برباطة جأش وروح عالية وإيمان بالمبدأ الذي يقاتلون من أجله لا يشوبه أدنى شك بعد أن اختزلتهم الطريق وبعد أن اختارهم من بين الكثيرين الذين التحقوا به في بداية المسير، ولم يكن (عليه السلام) يقبل كل أحد ليكون من أنصاره ولا حتى المعونة من أحد بمال أو فرس، كما يشهد لذلك قضية عبيد الله بن الحر الذي جاء إلى الحسين (عليه السلام) بعد أن استنصر القوم، فقال للحسين (عليه السلام): يا بن رسول الله، والله، لو نصرتك لكنت أول مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك فو الله ما ركبته قط وأنا أروم شيئا إلا بلغته، ولا أرادني أحد إلا نجوت عليه، فدونك فخذه، فأعرض عنه الحسين (عليه السلام) بوجهه، ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك. **{وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا}**(الكهف 51) ولكن فرّ، فلا لنا ولا علينا، فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا، أكبّه الله على وجهه في نار جهنم**(26)**.

(الثاني): إصلاح السلاح، فقد قام (عليه السلام) مع أصحابه بشحذ السيوف وإصلاحها**(27)**.

(الثالث): تقريب الخيام من بعضها وإدخال أطناب بعضها ببعض وجعلها على شكل هلال، بحيث يكون المقاتلون في وسط ذلك الهلال أمام الخيام، وحفر خندقًا من خلف الخيام وملأه بالحطب والقصب لإشعال النار فيه عند الشروع بالقتال لحماية الخيام والعيال وحتى لا يجد الأعداء منفذًا إليها إلا من جهة المقاتلين**(28)**.

(الرابع): كان الحسين (عليه السلام) يستطلع التلال المحيطة بالخيام والمشرفة عليها مخافة أن يكمن فيها أحد ليتسلل منها إلى الخيام**(29)**.

(الخامس): تنظيمه لأصحابه عند شروع المعركة، فجعل زهير بن القين على الميمنة وحبيب بن مظاهر على الميسرة وثبت (عليه السلام) مع أهل بيته في القلب، وأعطى الراية لأخيه العباس لأنه أشدّ المقاتلين بأسًا وأقواهم وأكفأهم لحملها**(30)**.

البعد الزماني

إن يوم عاشوراء وإن كان يومًا واحدًا في حساب الأيام وهو العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة، لكنه يرمز إلى التاريخ برمته، فمقولة (كل يوم عاشوراء) توضح بما لا شك فيه أن هذا اليوم العظيم يُلقي بظلاله على كل أيام البشرية في كل عصر ومصر، وكلما مرّ الزمان وتجدّدت ذكرى المأساة نشعر وكأنها حدثت بالأمس، فذكرى الطف ليست حدثًا تاريخيًا عابرًا انقضى وأُسدل الستار عليه، بل هي واقعة حيّةً ولذا تجدها حاضرة على الدوام في الوجدان ويتم التذكير بها وإحياءها على مدار السنة وفي كل مناسبة حزينة وأليمة.

بل كانت هذه الذكرى حاضرة قبل حدوثها، فقد عرف بها الأنبياء وتأثروا بها من آدم إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، ولعنوا يزيدًا، كما جاء في الروايات التي جمعها العلامة المجلسي في البحار وغيره**(31)**.

البعد المكاني

وكما أن النهضة الحسينية لا ترتبط بزمان معيّن، فكذلك لا ترتبط بمكان معين، فلا يحقّ لنا أن نربط هذه التضحية العظيمة بالماضي فقط، وبيوم العاشر من محرم سنة إحدى وستين للهجرة، ولا أن نحدّها بأرض كربلاء، لأن الحسين (عليه السلام) وارث الأنبياء والأوصياء كما نقرأ في زيارة وارث، فهو وارث لكل الأنبياء الذين أرسلهم الله لنشر الدين والوقوف بوجه الطغاة وظلمهم، وبوجه عبادة الأصنام والشّرك، فلا يمكن لنهضة كهذه أن ترتبط بمكان أو زمان محدّدين، فعلى أيّ أرض كنّا وفي أيّة بقعة تواجدنا، علينا أن نطبّق تعاليم نهضة الحسين وأن نسعى وراء تحقيق أهداف تلك النهضة المباركة بأن نكون أباة الضيم، وأن نقف مع القسط والعدل في وجه الظلم والجور، وأن نكون أحرارًا لا نرضى بالذل والقهر، وأن يكون الدين في مقدمة أولوياتنا واهتماماتنا، فنضحّي في سبيله ونسترخص الغالي والنفيس من أجل نشر الدين وإحياء مبادئه والتحلي بأخلاق النبي وآله (عليهم السلام)، وأن نترجم الاهتمام بالصلاة والعبادات وبكل ما أمر الله تعالى على أيّ أرض كنا، وذلك بأن نُخلص في أعمالنا على أيّ

أرض كنّا، وأن ندافع عن الحقّ في أيّة بقعة تواجدنا وأن نقوم بواجبنا في أي مكان حللنا وبذلك نكون قد حقّقنا مقولة كل أرض كربلاء ونكون قد وفينا بنزر قليل من وظيفتنا اتجاه ما قدّمه الإمام الحسين لهذه الأمة، لأنه مهما فعلنا - ونحن نعيش ببركة نهضتهم العظيمة - لن نَفيَ حقّ قطرة دم واحدة سقطت من أصحاب الحسين (عليه السلام)، فضلاً عن دمه الشريف الذي سقط منه، ومهما جهدنا فلن نَفِيَ تحمل سوط أو أنّة أو زفرة ممّا تحملته السبايا وعقائل الوحي من أجل إيصال النهضة إلى أهدافها ومبتغاها.

هذا.. وهناك أبعاد أخرى (كالبعد السياسي و المأساوي والأدبي وغيرها) مما لا يسعنا خوض غمارها كلّها في مقال محدود الصفحات، بل يحتاج بسط الكلام فيها إلى مجلدات.

انتهى المقال

23- الإرشاد، للشيخ المفيد مؤسسة آل البيت: 2/79.

24- العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، للبحراني: ص265.

25- لواعج الأشجان، للسيد الأمين، مطبعة بصيرتيك ص16.

26- الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم: 1/325؛ الأمالي للصدوق، مؤسسة البعثة، قم: ص219.

27- – تاريخ الطبري، الأعلمي:4/318.

28- تاريخ الطبري، الأعلمي: 4/319؛ الإرشاد، المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت: ص 232.

29- كلمات الإمام الحسين، الشيخ الشريفي، مطبعة دانش، قم: ص 406.

30- مناقب ابن شهراشوب، الحيدرية النجف: 3/250.

31- بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2: 44 /225 - 243.

الهوامش

* مبلّغ ديني ومدرّس في الحوزة العلمية.

البعد الغيبي في حركة الإمام الحسين(ع)

الشيخ محمد جواد الفقيه

البعد الغيبي في حركة الإمام الحسين (عليه السلام)

الشيخ محمد جواد الفقيه *

بالرّغم من البعد الزمني الفاصل بيننا وبين واقعة الطف فإن شخصية الإمام الحسين وحركته البنّاءة يظلان محطّ الاهتمام لدى أهل الفكر ومثارًا للتأمّل والنقاش في أكثر من جانب، ولعل أكثرها أهميّة هو البعد الغيبي الذي تجلّى في كلماته ومخاطباته، قبل وبعد نزوله أرض كربلاء، حيث صرّح (عليه السلام) في أكثر من مناسبة بأنه *سيستشهد*.

هذا الجانب أنكره البعض معللاً ذلك بأنه لو حصل لكان ضربًا من إيقاع النفس في التهلكة الحرام، بينما رأى البعض الآخر أنه إيقاع في معرض الهلكة، وفرقٌ بينهما، إلا أنه لا ينفي اللوم، وفي كلا الحالين تنجرّ النتيجة إلى القول أنه ما كان ليعلم أنه (عليه السلام) *سيستشهد*، ولو علم لما فعل..

ولعل أرباب هذا الرأي قد غلبهم تصورهم إلى أن الحسين (عليه السلام) صحابي جليلُ طفحت به غيرته على الإسلام فنهض بأهله وعياله وأصحابه القلة معرّضًا إياهم للموت أو الأسر، وهذا الكلام في نظري يندرج تحت خانة مظلوميته (عليه السلام)، لما فيه من الخدش الواضح في بُعد نظره (عليه السلام) ومعرفته بالأمور.

فالحسين (عليه السلام) عاش مع جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) سبعًا وثلاثين سنة([1])خَبر خلالها الحياة السياسية بمعناها الحقيقي المرتبط بقِيم الإسلام وأخلاقياته، كما خبرها بمعناها السائد الذي لمسه في ممارسات أمراء عصره، فعرف الناس على حقيقتهم وعرفوه، كما عرف معاصريه الحكام وأخلاقياتهم حق المعرفة.

بالإضافة إلى هذا فقد خاض مع أبيه أمير المؤمنين أعنف حروبه (الجمل وصفين والنهروان) فخبر ضراوة الحروب وقسوتها وأخطارها، وإنسانٌ بهذا المستوى ما كانت لتغيب عنه أخطار تلك المرحلة فيجازف بنفسه وأهله وأصحابه في رحلةٍ، الموتُ فيها ماثل للعيان، ومعها لا جدوى ولا ضمان لتحقيق الأهداف المتوخاة التي نهض لأجلها، لولا أن للغيب فيها يدًا.

فكم من ثورة قُبرت في مهدها عبر التاريخ الطويل ولم يحصد دعاتها غير القتل والإبادة الجماعية، فالثورات التي حصلت وتحصل مهما كانت أبعادها السياسية والاجتماعية فإن نجاحها يشكل حالة اجتماعية تمتدّ لزمان محدود ما تلبث أن تزول بعده.

أما أن تُباد ثلّةٌ قليلة من الناهضين للإصلاح في أمّة ما، ثم يُفرخ ذلك ثورات وثورات حتى يتحقق الهدف الأول للثائر الأول، فهذا ما لم نعهده في التاريخ إلا في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام).

وأكثر ما يثير العجب أن ذلك الرجل العظيم بالرغم من مواجهته لأشكال المُلاحقة والترويع والتهديد والحصار، رأيناه وهو في ذروة أهوالها يتحرك تحرك الفاتح المنتصر، يستشرف الآتي فيلمح فيه تباشير الفتح المرهون بارتقاء سدّة الشهادة، ولا يتردّد في إعلان ذلك أمام التاريخ موثّقا إياه ضمن كتاب بعث به إلى من تخلّف عنه من أهل بيته:

أما بعدُ، فمَن لحق بي منكم استشهد ومن تخلّف لم يبلغ الفتح([2]).

لقد ألمسه الغيبُ تباشير النصر فنحا به نحو الخلود، حتى تجذّرت دعوته الإصلاحية فيه، وتمدّدت لتحتل مساحاتٍ شاسعة في الضمير الإنساني كما في الضمير الإسلامي، وبذلك كُتب لهذه الحركة المباركة أن تتخطى حدود الزمان والمكان، لتصبح منارة يهتدي بها طلاب العزة والحرية والكرامة في هذا العالم.

وهذا ولا شك يُشعرنا بأن الحسين (عليه السلام) لم يكن إنسانًا عاديًا كما يتوهم البعض بل يرتفع إلى مصاف الأنبياء والأوصياء وهو معنى الإمامة.

علمُ الغيب

وهو على قسمين.

الأول: علم الغيب المتعلق بالذات الإلهية المقدسة، وهذا ما لا يمكن لأحد أن يطلع عليه لا نبيٌّ مرسلٌ ولا ملَكٌ مقرّب.

الثاني: العلم المفاض منه سبحانه وتعالى على من شاء من عباده، وهو على نوعين.

أحدهما: العلم بالموضوعات الخارجية الواقعة الموجودة ضمن عالم المادة ولكنها محجوبة عن العيان، كطرق السماوات وعدد المجرات وحجمها، ومسالك الأرض وما حوت بواطنها، وكالجنة والنار (على فرض خلقهما) وما إلى ذلك مما يعجز الإنسان عن إدراك كنهه وخصائصه مع أنه موجود قطعًا.

ومثال ما يندرج تحت هذا، إخبار النبي (صلى الله عليه وآله) الناس بمكة عن معراجه حيث قال لهم: آية ذلك أنه ندّ([3])لبني فلان في طريقي بعير، فدللتهم عليه، وهي (أي القافلة) الآن تطلع عليكم من ثنية كذا يقدمها جمل أورق([4])عليه غرارتان([5]): إحداهما سوداء، والأخرى برقاء([6])فوجدوا الأمر على ما قال.

وكإخبار عيسى (عليه السلام) قومه بما يدّخرون وما يأكلون مع أنه بعيد وغائب عن العيان **{وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}**([7]).

ثانيهما: العلم بالموضوعات الموجودة بالقوّة لا بالفعل.. بالوجود التقديري لا المادي، أي ما هو غير واقع فعلاً لكنه سوف يقع، ونعني به ما قضاه الله وقدّره في علمه سبحانه، حيث إن كلّ مقدر في علم الله فهو كائن، ومنه علم الآجال المعبر عنه بعلم (المنايا والبلايا) وعلم الأرزاق الموجود بالوجود التقديري، وهذا هو محل الكلام، وهو المعبر عنه بالعلم اللدني.

عِلمُ النبيّ والإمام

من هنا نقول: إن **علم النبي** (صلى الله عليه وآله) بالغيب إنما يندرج تحت القسم الثاني من قسمي العلم بنوعيه، فهو علم مفاض من الله تعالى على النبي (صلى الله عليه وآله)، وما كان للنبي أن يعلمه من ذاته.

وقد يتوهم البعض أن علم الغيب بالمعنى المتقدم مما استأثر به سبحانه لنفسه، مستفيدًا ذلك من قوله تعالى:

{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ }([8]).

وقوله تعالى: **{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ }**([9]) مما يفهم منه عدم إظهار هذا العلم للغير.

إلا أن ذلك مردود بقوله تعالى: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا *إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ}**([10]).

وقوله تعالى: **{وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء}**([11]).

فإن هذا الاستثناء كافٍ في الدلالة على إشاءته تعالى لأن يحيطوا بشي من علمه. بل أظهره على من شاء، بلطف منه جلّ شأنه، وتعليم من لدنه جلّ ذكره، كالخضر (عليه السلام) وسليمان وداود وغيرهم. والرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) هو أبرز مصاديق (من ارتضى) سبحانه لأنه سيد الأنبياء وهو الأولى بالكرامة منه تعالى، لأن به تمامية الحجة على الناس.

ثم إن الكلام في علم النبي يشمل العلم بالأمور التقديرية من الآجال والأرزاق والمنايا وغيرها مما ظاهره استئثاره به تعالى والتي يجمعها قوله جلّ شأنه: **{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}**([12])، فإن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) قد اشتملت على كثير من هذا مما ليس ها هنا بيانه.

أما علمه بالأحكام، الكليّة والفرعية فإنه من المسلّمات، لأن بيانها من خصائصه ووظيفته، وجهله بها نقص في رتبته وحط من منزلته، إذ لا يجوز أن يُسأل عن حكم لم يكن علمه به حاضرًا لديه، وإلا فإنه لا تتم له الحجة على العباد ولبطلت نبوته.

علم الإمام

بعد هذه المقدمة الوجيزة ننتقل إلى علم الإمام بعد النبي فنقول:

بما أن النبي (صلى الله عليه وآله) مفارق هذه الدنيا كان لا بد له من تنصيب خليفة له يتابع مسيرته ويكون له بعض مواصفات النبي (خلا النبوة طبعًا) كي تبقى الشريعة محافظة على قوتها وفاعليتها بعيدا عن العبث والتحريف.

فوصيُّ النبي وخليفتُهُ هو الحافظُ لأصول الرسالة وفروعها من بعده، وذلك يقتضي اللطفَ من الله تعالى بأن يؤيده بالعلم والمعرفة لكي تقوم به الحجة على الناس، أما إذا كان كبقية الناس في علمه سيما في الكليات فإنه سيكون عُرضةً للأخطاء الكثيرة التي تدع الناس في حيرة من أمرهم ولبس فيما يعتقدون وبالتالي يصل بهم الأمر إلى التشرذم والتشتت والضياع.

ثم لا بد له من كرامات تفرده عن بقية الناس لتتم تلك الحجة، ومن تلك الكرامات أن يطلعه الله على بواطن الأمور وغوامضها، بعيدها وقريبها، وهو ما نجده عند جملة من الأنبياء والأوصياء، وقد ضرب الله لنا مثلا بآصف بن برخيا صاحب سليمان (عليه السلام) الذي أحضر عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس بمدة هي أقصر من ارتداد الطرف، ومحمد (صلى الله عليه وآله) هو سيد الأنبياء وهكذا وصيّه سيد الأوصياء، و لا أدري لماذا ينكر الآخرون ما منحه الله تعالى من العلم مع أنه باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله)([13]). وهو القائل: (فتح لي رسول الله من العلم ألف باب يُفتح لي من كل باب ألف باب)([14]).

يتبع =

---

[1] - منها عشر سنوات مع جده حيث توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وللحسين (عليه السلام) من العمر عشر سنوات تقريبًا.

[2] - مناقب آل أبي طالب، المطبعةالحيدرية النجف: 3/230؛ وفي كامل الزيارات: من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح.

[3] - نَذَّ: نَفَرَ.

[4] - أورق: رمادي اللون.

[5] - الغرارة: وعاء.

[6] - البرقاء: الشاة البيضاء التي في صوفها سواد.

[7] - سورة آل عمران الآية 49.

[8] - سورة الأنعام من الآية59

[9] - سورة النمل الآية 65

[10] - سورة الجن من الآية 26-27

[11] - سورة البقرة من الآية 255.

[12] - سورة لقمان الآية 34.

[13] - نظم درر السمطين، الزرندي الحنفي، ط 1377هـ: ص 113: عن ابن عباس (رض) أن رسول الله (ص) قال: أنا مدينة: العلم وعلي بابها فمن أراد بابها فليأت عليًا. وعن علي (رض) قال: علمني رسول الله (ص) ألف باب كل باب يفتح لي ألف باب.

قال الأميني في كتاب الغدير، دار الكتاب العربي، ط1379هـ: ج6 ص61: أخرج حديث (أنا مدينة العلم) جمع كثير من الحفاظ وأئمة الحديث، ثم ذكر أسماءهم واحدًا واحدًا، فأحصى مائة وثلاثة وأربعين إمامًا وحافظًا.

[14] - ميزان الاعتدال، الذهبي، دار المعرفة، بيروت، ط1: 2/482: عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه: ادعوا لي أخي، فدعي أبو بكر فأعرض عنه، ثم قال: ادعوا لي أخي، فدعي له عثمان، فأعرض عنه، ثم دعي له علي فستره بثوبه وأكب عليه، فلما خرج من عنده قيل له: ما قال لك؟ قال: علمني ألف باب كل باب يفتح ألف باب.قال الذهبي: قلت: كامل صدوق.

.

تتمة مقال = البعد الغيبي في حركة الإمام الحسين (ع)

علمه بالمغيبات

وما ذكره لنا التاريخ من إخباره(عليه السلام) بالمغيبات قد يفوق حدّ التواتر.

قال أمير المؤمنين عليٌّ (عليه السلام):

أيها الناس... فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ وَ لَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَ تُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمُنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ

السَّائِلِينَ وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ وَكَانَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقًا تَسْتَطِيلُونَ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ([1]).

لقد قال (عليه السلام) ذلك من منطلق خصائص الإمام، ولم يقله تخرصًا ولا استعلاء.

(قال ابن أبي الحديد في تعليقه على هذا النص: أَقْسَمَ (يعني عليًا) في هذا الفصل بالله الذي نفسه بيده، أنهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلا أخبرهم به، وأنه ما صح من طائفة من الناس يهتدي بها مائه وتضلّ بها مائة، إلا وهو مخبر لهم - إن سألوه - برعاتها، وقائدها وسائقها ومواضع نزول ركابها وخيولها، ومن يُقتل منها قتلاً، ومن يموت منها موًتا، وهذه الدعوى ليست منه (عليه السلام) ادّعاء الربوبية، ولا ادّعاء النبوة، ولكنه كان يقول: **إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، ولقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقًا، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة.**

كإخباره عن الضربة التي يُضرب بها في رأسه فتخضب لحيته، **وإخباره** عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام، وما قاله في كربلاء حيث مر بها، وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده، **وإخباره** عن الحجاج، وعن يوسف بن عمر، وما **أخبر** به من أمر الخوارج بالنهروان، **وما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل** من يقتل منهم، وصلب من يصلب، وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، **وإخباره** بعدة الجيش الوارد إليه من الكوفة لما شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها، **وإخباره** عن عبد الله بن الزبير، وقوله فيه: "خبٌّ ضبٌّ، يروم أمرا ولا يدركه، ينصب حبالة الدين لاصطياد الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش".. **وكإخباره** عن المملكة العلوية بالمغرب، **وكإخباره** عن بني بويه وقوله فيهم: "ويخرج من ديلمان بنو الصياد"، إشارة إليهم. وكان أبوهم صياد السمك يصيد منه بيده ما يتقوت هو وعياله بثمنه، فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكا ثلاثة، ونشر ذريتهم حتى ضربت الأمثال بملكهم. **وكقوله عليه السلام** فيهم: "ثم يستشري أمرهم حتى يملكوا الزوراء، ويخلعوا الخلفاء". فقال له قائل: فكم مدتهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: "مائة أو تزيد قليلاً".

وكإخباره عليه السلام لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالى عن انتقال الأمر إلى أولاده، فإن علي بن عبد الله لما ولد، أخرجه أبوه عبد الله إلى علي عليه السلام، فأخذه وتفل في فيه وحنّكه بتمرة قد لاكها، ودفعه إليه، **وقال: خذ إليك أبا الاملاك** هكذا الرواية الصحيحة، وهى التي ذكرها أبو العباس المبرد في "الكتاب الكامل"...([2]).

ونحن بدورنا نكتفي بهذا القدر من الأمثلة فقط لننتقل منه إلى علم الحسين وأخيه الحسن والذرية الطاهرة من الأئمة الباقين (عليهم السلام)، الذين أخذوا العلم بأشكاله عن آبائهم عن جدهم (صلى الله عليه وآله)، وهذه كتب الفريقين مليئة بالشواهد على ذلك، **فالإمام الصادق** (عليه السلام) أخبر عن انتقال الملك لبني العباس، مع أن الحركات الثورية آنذاك كانت بمجملها علويّة.

ففي آخر دولة بني أميّة وضعفها أراد بنو هاشم مبايعة محمّد الملقّب بـ(ذو النفس الزكية) وأخيه، فأرسلوا للإمام أن يبايعهما فامتنع، فاتُّهم بأنه يحسدهما فقال: (والله ليست لي ولا لهما، إنها لصاحب القباء الأصفر، ليلعبّن بها صبيانهم وغلمانهم، وكان المنصور العباسي يومئذ حاضرًا وعليه قباء أصفر، وما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا).

وسبق جعفر (عليه السلام) إلى ذلك والده **الباقر** فإنه أخبر المنصور بملك الأرض، شرقِها وغربِها وطول مدته، فقال له: ومُلكنا قبل مُلككم؟ قال: نعم. قال: ويملك أحدٌ من ولدي؟ قال: نعم. قال فمدّةُ بني أمية أطول أم مدّتُنا؟ قال: مدّتكم، وليلعبّن بهذا الملك صبيانكم كما يُلعب بالأكرة، هذا ما عهده إليّ أبي!

فلما أفضت الخلافة للمنصور تعجب من قول الباقر([3]).

وقصّة الإمام الجواد (عليه السلام) وهو في سن العاشرة أو دون، حين كان المأمون خارجًا للصيد فأرسل صقره على دراجة([4])، وإذا به يغيب ثم يعود وهو يحمل بمنقاره سمكة صغيرة.. فتعجب من ذلك غاية العجب، ولما رجع مرّ بصبيةٍ وفيهم محمّدٌ ففرّوا إلا محمدًا، فدنا منه وقال: ما في يدي؟

فقال الجواد (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى خَلقَ في بحر قدرته سمكًا صغارًا يصيدها بازات الملوك والخلفاء، فيُختبر بها سلالةُ أهل بيت المصطفى!...)([5]).

وإخبارهم بالمغيبات مذكورة في كتب العامة والخاصة، وهو ما يعبّر عنه لدى العامة بالمكاشفات، وما ذكرناه هو عيّنة للتذكير فقط.

الإمام الحسين (عليه السلام)

أخبر عن شهادته في مواضع عدة.. كما أخبر عن مصير غيره

وهنا نضع أمام القارئ الكريم بعضا من النصوص التي تصرح بعلمه (عليه السلام) أنه سائر نحو الشهادة.

1- **قال (عليه السلام) لأخيه** محمد بن الحنفية حين أشار عليه بتجنب أماكن سطوة بني أمية والذهاب إلى اليمن..في خبر طويل..

(أتاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن فارقتك فقال: يا حسين اخرج فإن الله **قد شاء أن يراك قتيلا**!! ولما سأله عن حمله النسوة معه؟ **أجابه: قد قال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا([6]).**

2- قال عليه السلام في معرض ردّه على ابن الزبير حين أشار عليه بالبقاء في المسجد الحرام في مكة:

(والله لئن أُقتل خارجا منها بشبرٍ أحبُّ إلي أن أُقتل داخلا منها بشبر، وأيمُ الله لو كنت في جُحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني منها، والله ليعتدُنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت)([7]).

3- **وحين قال له أخوه عُمر الأطرف**: حدثني أخوك أبو محمد، عن أبيه، ثم بكى حتى علا شهيقه، فضمّه الحسين إليه وقال: حدثك أني مقتول. قال: حوشيت يا ابن رسول الله. فقال: بحقّ أبيك بقتلي خبّرك؟ قال: نعم، فلو بايعت. فقال عليه السلام:

حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي، وأن تُربتي تكون بقرب تربته، أتظن أنك علمتَ ما لم أعلم [8]؟

4- وقال (عليه السلام) في جوابه لعبد الله بن عمر:

أما تعلم يا عبد الله أن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحي بن زكريا يُهدى إلى بغيّةٍ من بغايا بني إسرائيل والرأسُ ينطق بالحجة عليهم([9]).

5- جوابه لأم سَلَمه إذ قالت له: يا بني لا تُحزنّي بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدّك (صلى الله عليه وآله) يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها **كربلاء. فقال لها:**

يا أمّاه وأنا والله أعلم ذلك، وأني مقتول لا محالة، وليس لي منه بُدّ، وقد شاء الله أن يراني مقتولاً، ويرى حُرمي مشردين وأطفالي مذبوحين....([10]).

6- خطبته ليلة خروجه من مكة: كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء إلى أن قال:

ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطّنًا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحلٌ مصبحًا إن شاء الله تعالى([11]).

7- قوله (عليه السلام)**:** لولا تقارب الأشياء، وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، **ولكني أعلم يقينًا أن هناك مصرعي ومصرع أصحابي، لا ينجو منهم إلا ولدي علي([12]).**

8- قوله: والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يُذلُّهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة([13]).

9- قوله لأبي هرة "الأزدي" - كما في تاريخ ابن جرير وغيره -: **أيْمُ الله لتقتُلُني الفئة الباغية وليُلبسنّهم الله ذلاً شاملا وسيفا قاطعا، وليُسلطّن الله عليهم من يُذلهم..([14]).**

10- **روى جعفر بن سليمان قال:** حدثني يزيد الركسي قال: حدثني من شافه الحسين (رض) بهذا الكلام قال: حججت فأخذت ناحية من الطريق أتعسف الطريق، فدُفعت الى أبنية وأخبية فأتيت أدناها فسطاطا فقلت: لمن هذه الأخبية؟ فقالوا للحسين بن علي، فقلت ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالوا: نعم قلت في أيّها هو؟ فأشاروا إلى فسطاط فأتيت الفسطاط فإذا هو قاعد عند عمود الفسطاط، وإذا بين يديه كتبٌ كثيرةٌ يقرأها فسلمت عليه فقلت: بأبي أنت وأمي ما أجلسك في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس ولا منفعة؟ قال: **إن هؤلاء (يعني بني أمية) أخافوني وهذه كتب أهل الكوفة إليّ وهم قاتلي، فإذا فعلوا ذلك لم يتركوا لله حرمة إلا انتهكوها، فيسلّط الله عليهم من يُذلُّهم، حتى يتركهم أذلّ من قرم الأمَة([15]).**

11- **رؤياه** التي رآها لما ارتحل من قصر بني مقاتل - كما في تاريخ الطبري وغيره - فقال حين انتبه: إنا لله وإنا إليه راجعون، الحمد لله رب العالمين - مرتين أو ثلاثًا، فأقبل عليه ابنه علي فقال: يا أبتاه، جُعلت فداك مِمّا حمدت الله واسترجعت؟ **فقال: يا بنيّ، خفقتُ برأسي فعنّ لي فارسٌ، فقال: القوم يسيرون والمنايا تسيرُ إليهم، فعلمتُ أنها أنفسنا نُعيت إلينا، فقال: يا أبتِ لا أراك الله سوءًا، ألسنا على الحق؟ قال: بلى، والذي إليه مرجع العباد، قال: إذًا لا نبالي نموت محقين!** فقال له: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولدًا عن والده([16]).

12- عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام لأصحابه قبل أن يُقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بني إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيّون، وأوصياء النبيين، وهي أرض تُدعى " عمورا " وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعةٌ من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد، وتلا: (قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم)([17]).

يتبع =

---

[1] - نهج البلاغة، محمد عبده، دار المعرفة، بيروت: 1/182، خطبة رقم 39، وإنما ذكرت الفقرات الخارجة عن البحث لانطوائها على بيان الصورة التي وصل إليها المسلمون.

[2] - شرح النهج، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية: م7، من ص44 إلى ص50.

[3] - الصواعق المحرقة:ص202.

[4] - نوع من الطيور.

[5] - نفس المصدر ص206.

[6] - اللهوف في قتلى الطفوف، لابن طاووس، ط 1417هـ: ص40، وفيه إشارة إلى رأسه الشريف حيث تكلم في عدة مواضع، كما هو المشهور.

[7] - تاريخ الطبري،مؤسسة الأعلمي، بيروت: م5 ص385.

[8] - اللهوف في قتلى الطفوف: ص19-20

[9] - الفتوح، لابن أعثم،: ج5 /25

[10] - مقتل الحسين، المقرم،: ص 136، نقلاً عن مدينة المعاجز وكتاب الخرايج.

[11] - شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي،: ج3 ص146.

[12] - اللهوف في قتلى الطفوف: 39.

[13] - مقتل أبي مخنف: ص66، فرام المرأة: الخرقة التي تتحفظ بها من الحيض.

[14] - مثير الأحزان، ابن نما المتوفى سنة 645، الحيدرية، النجف، 1369هـ: ص33 وفي اللهوف كذلك.

[15] - نظم الدرر للحنفي: ص214.

[16] - مقتل الحسين، أبي مخنف، قم، 1398هـ: ص92

[17] - الخرايج والجرايح، قطب الدين الرواندي، مؤسسة الإمام المهدي، قم: ج2/848.

.

تتمة مقال = البعد الغيبي في حركة الإمام الحسين (ع)

إن **هذه النصوص** فيها صراحة كافية على ما نقول، ولكن يبقى **السؤال**:

من أين جاءه هذا العلم؟

وللجواب على هذا السؤال فرضيتان لا ثالث لهما، وكلاهما يعطياننا الجزم بعلمه صلوات الله وسلامه عليه بأنه ماض نحو الشهادة.

الفرضية الأولى: العلم المفاض عليه من الله سبحانه وتعالى تأييدًا لوصايته وإمامته على الناس، وقد صح بل اشتهر الحديث عنه (صلى الله عليه وآله) فيه وفي أخيه الحسن (عليه السلام): **(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما)([1])**.

الفرضية الثانية: أن النبي(صلى الله عليه وآله) أخبره بذلك كما أخبر غيره من المسلمين.

إخبار الرسول الأعظم له بالشهادة

فقد ورد في أمهات كتب الحديث لدى الفريقين أن النبي (صلى الله عليه وآله) أخبر عن استشهاد سبطه الحسين (عليه السلام) في أرض يقال لها كربلاء، وهو ما تضمّنه الحديث المشهور المروي عن أم سلمة وعائشة وغيرهما.

فعن أم سلمه، قالت: كان جبرائيل عند النبي صلى الله عليه وسلم والحسين معي، فبكى، فتركته، فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم، فقال جبرائيل: أتحبه يا محمد؟ قال: نعم. قال: إن أمّتك ستقتله. وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها. فأراه فإذا الأرض يقال لها كربلاء.

وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم في بيتي، قال لا يدخل على أحد، فانتظرت" فدخل الحسين، فسمعت نشيج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي، فأطللت فإذا حسينٌ في حجره والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح جبينه وهو يبكي، فقلت والله ما علمت حين دخل فقال.. الحديث.

وعن عائشة قالت: فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزمه في يده يبكي، فقال يا عائشة إن جبريل أخبرني أن ابني حسينٌ مقتولٌ في أرض الطف وان أمتي ستُفتنُ بعدي، ثم خرج إلى أصحابه فيهم عليٌّ وأبو بكرٍ وعمرُ وحذيفةُ وعمّارٌ وأبو ذرٍ رضي الله عنهم وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل عليه السلام أن ابني الحسين يُقتلُ بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التُربة وأخبرني أن فيها مضجعه. (رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار كثير، وأوله: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجلس حسينا على فخذه فجاءه جبريل.).

وفي حديث آخر: إن جبريل أخبرني أن ابني هذا يُقتل، وأنه اشتدّ غضبُ الله على من يقتُله.

(ابن عساكر عن أم سلمه): إن جبريل أراني التربة التي يُقتل عليها الحسين، فاشتدّ غضب الله على من يسفك دمه، فيا عائشة؟ والذي نفسي بيده إنه ليحزنني هذا من أمتي، تقتل حسينًا بعدي..!!

(عن عائشة): إن جبريل أتاني وأخبرني أن ابني هذا تقتله أمتي فقلت: فأرني تربته؟، فأتاني بتربة حمراء.

وعن عائشة أو أم سلمة: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لإحداهما لقد دخل عليّ البيت ملَكٌ، لم يدخل عليّ قبلها، قال: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتُك من تربة الأرض التي يُقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء. رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح([2]).

وعن أنس بن الحارث عن **أشعث بن سحيم** عن أبيه عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن ابني هذا يقتل بأرض من أرض العراق فمن أدركه فلينصره فقتل مع الحسين رضي الله عنه([3]).

عن ابن عباس، عنه (صلى الله عليه وآله): أوحى الله إليّ أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا وأني قاتلٌ بابن بنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا([4]).

نجى الحضرمي

عنه: أنه سار مع علي رضي الله عنه، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلقٌ إلى صفين فنادى عليٌّ: اصبر أبا عبدالله اصبر أبا عبدالله بشط الفرات قلت: وما ذاك قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وإذا عيناه تذرفان! قلت يا نبي الله أغضبك أحدٌ؟ ما شأن عينيك تفيضان؟؟ قال (صلى الله عليه وآله) بل قام من عندي جبريل عليه السلام قبل قليل فحدثني أن الحسين يُقتل بشط الفرات، قال فقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟ قلت: نعم, قال: فمدّ يده فقبض قبضةً من تراب فأعطانيها فلم أملك عينيّ أن فاضتا([5]).

إخبار أمير المؤمنين (عليه السلام)

عن شيبان بن محزم قال: إني لمع عليّ إذ أتى كربلاء فقال: يقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداءٌ إلا **شهداءُ بدر**([6]).

عن هرثمة بن سليم، قال: غزونا مع علي (عليه السلام) صفين، فلما نزل بكربلاء صلى بنا، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمّها، ثم قال: واهًا لك يا تربة! ليحشرُنّ منك قومٌ يدخلون الجنة بغير حساب. قال: فلما رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير - وكانت من شيعة علي عليه السلام - حدّثها هرثمة فيما حدّث فقال لها: ألا أعجبك من صديقك أبي حسن **(واهًا لك أيتها التربة)** قال: لما نزلنا كربلاء، وقد أخذ حفنة من تربتها فشمّها، وقال: **(واهًا لك أيتها التربة! ليُحشرنّ منك قومٌ يدخلون الجنة بغير حساب)**: وما عِلمه بالغيب؟ فقالت المرأة له: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين عليه السلام **لم يقل إلا حقًّا**.

قال: فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين (عليه السلام)، كنت في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى الحسين (عليه السلام) وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي (عليه السلام)، والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: أمعنا أم علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله، لا معك ولا عليك، تركت ولْدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد، فقال الحسين عليه السلام: فولّ هربًا حتى لا ترى مَقْتَلنا، فو الذي نفسُ حسينٍ بيده لا يَرى اليوم مقتلنا أحدٌ ثم لا يُعيننا إلا دخل النار. قال: فأقبلت في الأرض أشتدُّ هربًا، حتى خفي عليّ مقتلُهم([7]).

عبد الله بن عمر

حين أشار عليه بعدم الخروج...قال: فإني قد سمعت رسول الله وهو يقول **(حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلُهم الله إلى يوم القيامة..)([8])**.

ابن عباس

فقال أبن عباس -وكان مع ابن عمر_صدقت أبا عبدالله، قال النبي في حياته **(مالي وليزيد، لا بارك الله في يزيد وإنه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين، والذي نفسي بيده لا يُقتل ولدي بين ظهرانيّ قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم)([9])**.

أشعث بن سُحيم

عن أبيه عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن **ابني هذا يُقتل بأرض من أرض العراق فمن أدركه فلينصره، فقتل مع الحسين رضي الله عنه([10])**.

وكما ترى فإن الروايات تؤكد أن الحسين (عليه السلام) علم بأنه سيستشهد، علم ذلك عن جده (صلى الله عليه وآله) كما علمه بالعلم المفاض منه سبحانه وتعالى فهو الإمام المفترض الطاعة على حدّ تعبير النبي (صلى الله عليه وآله) **(الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)** حكما أم لم يحكما، أطاعهما الناس أم خالفوهما، سيّان عند الله تعالى، فإنا لا نعهد أن أحدًا من الأنبياء والأوصياء استتبّث له الأمور إلا ما ندر، كداود وسليمان وذي القرنين ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، وأما الباقون من سلسلة الأنبياء صلوات الله عليهم، فهم بين مقتول ومصلوب ومشرّد ومحارب، ولم يخدش ذلك في مقامهم عند الله تعالى، ولا في نبوّتهم، كذلك أوصياء الأنبياء، والأولياء بعد الأوصياء([11]).

ومجمل القول: أن الحسين (عليه السلام) كان يعلم بأنه سوف يستشهد، ولم يمنعه علمه هذا عن متابعة مسيرته، إذ إن المقدمات العادية كلها كانت تامة فلقد استصرخته شريعة الله بعد أن عمد بنو أمية ومن لفّ لفّهم إلى حرفها عن مسارها الذي رسمه الباري سبحانه بما أوحاه إلى نبيه (صلى الله عليه وآله) ورقمه في كتابه العزيز، واستصرخه المسلمون فبعثوا إليه باثني عشر ألف كتاب من الواحد والاثنين والثلاثة، ولو كان مسلمًا عاديًا لأجاب إلى الجهاد؛ كيف وهو من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسول الله منه **(حسينٌ مني وأنا من حسين)([12])**.

نعم، إن الحسين (عليه السلام) يحمل ذاتًا قدسية تذوب في ذات الله عزّ وجلّ فتهون عندها نفسه وكل ما تحت يده، وهذا ما كشفته أحداث واقعة الطف، ومهما يكن فإن جده إسماعيل (عليه السلام) قبله كان قد أسلم نفسه للذبح، والحسين (عليه السلام) ليس أقلّ خطرًا ولا منزلة منه، فإنه حين ضعف عن القتال وسقط إلى الأرض، صنع

لنفسه وسادة من الرمل، وجعل وهو يسمع بين الحين والحين صراخ الأطفال وبكائهم، وأنين النساء الثكلى وشكواهن، وبين تيْن وتيْن يحسّ مرارة اللؤم التي تَنْطِف بها أحقادُ أولئك الشُذّاذ من قَتَلة أولاد الأنبياء، يرى ويسمع كل ذلك، فيحتسبه بعين الله تعالى، ويرمق السماء بطرفه مليًّا وقد تهدّلت على شفتيه الذابلتين من شدة الظمأ كلماتٌ ناجى بها ربه مُسلِمًا إليه أمره، غير آبهٍ بجراحاته ولا بآلامه، فيقول:

اللهُم خُذْ لنفسكَ الرِضا منْ نفسي حتى تَرضى.

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا} ([13]).

انتهى المقال

---

[1] - شرح الأزهار، أحمد المرتضى، غمضان، صنعاء: 4/522.

[2] - هذه الرواية وردت في أمهات كتب المسلمين مع اختلاف بسيط في النص، فقد جاءت في أكثر من 25 كتابًا من أمهات كتب أحاديث أهل السنة:

منها: تهذيب الكمال: 3/152؛ منتخب مسند عبد بن حميد؛ تهذيب الكمال؛ المعجم الكبير؛ المعجم الأوسط؛ صحيح بن حبان؛ تأريخ دمشق؛ فيض القدير؛ مسند أبي جامع إلخ؛ ومن أراد فليراجع المعجم الفقهي الكمبيوتري الإصدار الثالث.

[3] - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، دار الفكر: 14/223 - 224، وهذا الحديث مثبت في كثير من كتب الحديث.

[4] - روي هذا الحديث في تفسير القرطبي؛ وفيض القدير؛ والدر المنثور؛ وتهذيب التهذيب؛ وغيرها مما لا يسعنا ذكره. قال عنه الذهبي: حديثٌ نظيف الإسناد.

[5] - مسند أحمد، دار صادر، بيروت: 1/85.

[6] - كنز العمال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت: 12/655.

[7] - وقعة صفين لابن مزاحم المنقري، المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثانية: ص 140-141.

[8] - الفتوح، لابن أعثم: 5/24.

[9] - نفس المصدر والصفحة.

[10] - أسد الغابة، إسماعيليان، قم: 1/123.

[11] - وأثناء بحثي هذا لفت نظري أمران:

الأول: أن الناس كانوا ينتظرون وقوع هذا الحدث العظيم، كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه، قال: (وكان أهل ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر وينتظرونه في كل يوم وليلة).

الثاني: نظرة الناس العامة إلى رفعة ومكانة الإمام الحسين وجعله في مصاف الأنبياء كما يظهر ذلك من الحوار الذي جرى بين الفرزدق وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكان الفرزدق قد أخبره بلقائه مع الحسين (عليه السلام) يقول:

فقال لي ويلك، هلا اتبعته!(يعني الحسين(عليه السلام)) فوالله ليملكن؛ ولا يجوز السلاح فيه ولا في أصحابه.قال: فهممت والله أن ألحق به، ووقع في قلبي مقالته،..ثم ذكرت الأنبياء وقتلهم، فصدّني ذلك عن اللحاق بهم.

إنني أرجو من القارئ الكريم أن يقف مليا عند هذا النص العفوي الذي جاء على لسان الفرزدق!!

[12] - حديث مشهور مثبت في كتب الفريقين.

[13] - سورة النساء الآية 54.

الهوامش

* مستشار ثقافي في رئاسة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

الإمام الحسين(ع) في الكتاب المقدس

الشيخ حاتم إسماعيل

الإمام الحسين (عليه السلام) **في الكتاب المقدس**

الشيخ حاتم إسماعيل*

بداية:

كثيرة هي المسائل الدينية التي يدور الجدل حولها بين العلماء المسلمين من جهة، وبين علماء الكتاب المقدس من اليهود والمسيحيين من جهة أخرى، وهو أمر يبدو مبررًا ومنطقيًا للوهلة الأولى، إذ من الطبيعي أن ينتصر كل فريق لرأيه ومعتقده، وأن لا يركن إلا إلى مقدّساته التي رافقت مسيرة حياته، وهنا تتجلى سمة المبدئية، والصدق مع الذات عند الباحث الهادف، والعامل على خلاص الآخرين، فضلاً عن خلاص نفسه.

الجدل حول البشارة بالنبي:

ومن الأمور المعروفة والشائعة في الثقافة الإسلامية أن الكتاب المقدس بعَهْدَيه قد بشّر بالنبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) وبيّن اسمه وصفته، كما أخبر بذلك القرآن الكريم والسنّة المطهرة.

ولم يجد علماء اليهود والنصارى سبيلاً إلى تكذيب هذا الإخبار في عصر النبي والأئمة (عليهم السلام)، بل تُحدّثنا كتب التاريخ عن الاحتجاجات التي كانت تجري فيما بينهم، وأن كثيرًا من علمائهم كانوا يقرّون بها عندما يواجههم أئمة الهدى (عليهم السلام) بالحقيقة، حتى أعلن الكثيرون منهم إسلامهم، عند إلقاء الحجة عليهم وإفحامهم.

إلا أنه بعد النهضة الفكرية والعلمية في أوروبا، والتي انتشرت في العصور الحديثة والمعاصرة، وانبهار المثقفين المسلمين بها، وذهولهم عن حضارتهم وثقافتهم، فانكفأوا عن البحث في تراثهم، وضعفت هويتهم الذاتية في وجدانهم، انتشرت ثقافة التشكيك في هذه الهوية، دون تأمل وروية، فيما يُلقيه إليهم المستشرقون وخصوم الإسلام.

وقد استثمر علماء اللاهوت هذه الظاهرة أعظم استثمار، وعملوا على تعميق الشك بالإسلام في نفوس المسلمين، من خلال زعم إثبات عدم صدقية القرآن الكريم في إخباراته المذكورة وغيرها، لعلهم يُخرجونهم بذلك من دينهم، من خلال دعوى أن الكتاب المقدس بعهديه موجود في أيدي الناس منذ عهد النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا يوجد فيه ما يدل على النبي الأعظم، وعلى صحة ما ورد في القرآن الكريم.

إن الجواب التقليدي والمتعارف بين المسلمين هو أن أهل الكتاب قد تصرّفوا وتلاعبوا في نصوصهم المقدسة، وأخرجوها عن سياقاتها ودلالاتها الأصلية، مما أدّى إلى تعمية الحقيقة وإضاعتها.

ولكنه في الحقيقة جواب غير مقنع, لأن المفروض أن القرآن الكريم والنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) إنما يتحدثان ويخبران عن مضمون ما هو معاصر لهما، إذ بغيره لا تتمّ الحجّة على أهل الكتاب المعاصرين للنبي واللاحقين، وهذا ظاهر.

وعلى هذا الأساس انطلقت العديد من الدراسات التي أثبتت وجود البشارة به (صلى الله عليه وآله) في أسفار العهدين، رغم ما حصل فيهما من تعمية الحقيقة، وتضليل القارئ لهما على مدى الأجيال، خصوصًا في العصور التي سبقت ظهور الإسلام، إذ يبدو من الصعب بحسب العادة أن يحصل التحريف بعد انتشاره بين الناس، وأخيرًا أقرّ كثير من اللاهوتيين بوقوع التحريف والتلاعب في هذه الأسفار، سواء عن حسن نية أو سوء قصد.

ولا زال التغيير والتبديل يجري على أسفار العهدين, بدعوى متابعة النصوص المقدّسة للتطوّر الحاصل في الثقافة الإنسانية على مرّ العصور, وهذا ما يؤدّي بالضرورة إلى فقدان النصوص الأصلية من التداول, ويلقي بظلال من الشكوك على مستند الديانتين, ذلك أن التطوير والتلاعب يخضع, على كل حال, إلى ذهنية المحرّر والمترجم, ومدى سعة اطلاعه, وعمق معرفته بالمستند, وقدرته على التصرف فيه, دون أن يظهر الخلل -على فرضه- للقارئ العادي.

الحسين في الكتاب المقدس:

والسؤال الذي يطرح نفسه في المقام هو: هل وردت إخبارات أو إشارات تتحدّث عن الإمام الحسين (عليه السلام) وحركته وشهادته في ما وصل إلينا آخر الأمر من نسخ الكتاب المقدس أم لا؟

وقد يبدو للوهلة الأولى أنه سؤال في غير محله، ذلك أن غاية الأنبياء تتمحور حول ربط الإنسان بالله تعالى، وليسوا مؤرخين لأحداث التاريخ السابق واللاحق لهم. وبشارة بعضهم ببعض إنما تهدف إلى تحقيق غاية مهمّة, وهي تثبيت هذا الربط، وبيان أنهم سلسلة واحدة مترابطة، يشد بعضها بعضًا، على نحو يتأكد الإنسان من صحة هذه الإخبارات, فيندفع نتيجة ذلك إلى العمل وفق الإرادة الإلهية, والحسين (عليه السلام) ليس نبيًا ليكون محلاً للبشارة والإخبار.

إلا أننا في مقام الإجابة نقول:

إن الإخبار بحركته (عليه السلام) لا يختلف عن الإخبار بالنبي (صلى الله عليه وآله)، من جهة تثبيت إيمان المبشرين، وإلقاء الحجّة عليهم، لأن أهمية حركة النبوة في التاريخ تتجلى بربط الإنسان بالمبدأ الأعلى سبحانه وتعالى، ووضعه على الطريق الصحيح في مسيرة التكامل البشري، وإقامة العدل، وتحقيق السعادة المنشودة في

الحياة الدنيا، فضلاً عن النجاة في الآخرة, فالحديث عن حركته (عليه السلام) وما يجري عليه سيؤدي إلى نفس الغاية المتقدمة, فيهتدي الإنسان على أساسها إلى أحكام الله تعالى, ويمتثل أوامره ونواهيه, من خلال الالتزام بتعاليمه (عليه السلام), التي استشهد من أجلها, والسير وفق منهجه في إصلاح المجتمع, ويعمل على تحقيق العدالة فيه.

هذا كله على مستوى النظرية وأما من الناحية الواقعية فتطالعنا نصوص في العهدين, تتحدث عن ذبيحة إلهية, وفداء وتضحية في سبيل الحق, تُحقّق غاية الأنبياء عبر التاريخ, لا تنطبق إلا على الإمام الحسين (عليه السلام) وحركته المباركة، ذلك أنه على الرغم من محاولات علماء اللاهوت صرفها عن دلالتها الظاهرة، وتأويلها بما ينطبق على السيد المسيح (عليه السلام)، تارة بتحريف العبارات الواردة والتصرّف في مداليلها، وأخرى بحملها على الرمزية البعيدة، من دون دعمها بأيّ شاهد كتابي أو غيره، ولكنها ظلّت عصيّة على مثل هذه التأويلات.

وما دامت هذه المسألة داخلة في الإخبارات المستقبلية، فمن الطبيعي أن نجدها في ما يسمى الأسفار النبوية أو الرؤيوية المتخصصة في الإخبار بالمستقبل، وقد تجلّت حركة الحسين (عليه السلام) بشكل بارز في سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي من العهد الجديد وفي سفر أرميا من العهد القديم.

1- في سفر أرميا:

يقول الكاتب: "الخفيف لا ينوص والبطل لا ينجو في الشمال بجانب نهر الفرات عثروا وسقطوا، من هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواجها،...، فهذا اليوم للسيد ربّ الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمهم. لأن للسيد ربّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات"([1]).

لم يتعرّض أيّ من شرّاح الكتاب المقدس لشرح هذه الفقرة، ولا للتعليق عليها، رغم أهميتها البارزة، ورغم أن بعضهم كثيرًا ما يلاحق أحداثًا مثلها، إن شمّ رائحة ارتباطها بالسيد المسيح (عليه السلام) أو بأحد المرتبطين ببني إسرائيل.

ولكن الخوري بولس الفغالي ذكر كلامًا عامًا، حول هذه الفقرات، دون أن يُقارب دلالاتها الواقعية، استفاده من مجموع أجواء السفر، وبيّن فيها عدم اختصاص الشعب الإسرائيلي في العلاقة مع الله، بل إن سائر الشعوب الأخرى مرتبطة به تعالى كذلك، بل هي خاضعة لأمره، وهكذا صارت الأمم منفذة قضاء الله في بني إسرائيل لأنهم خانوا إلههم([2]).

وهو فهم صحيح على الإجمال، ولكنه يفتقر إلى الدقّة والابتعاد عن الخلفية الثقافية التي حكمت المؤلف في استنتاجاته، إضافة إلى أنه لم يبيّن المراد من هذه الذبيحة الإلهية، التي توجب غضب الله تعالى، ذلك أن من غير المنطقي أن ينتقم الله من شعبه ويذله لأنه عصاه، ويسلّط عليه الوثنيين الذين لا يعرفونه أصلاً، بمقتضى القانون

التوراتي القائل بأن سبب الإبادة والطرد والتشرّد ناشئ عن عبادة غيره تعالى، فإذا بهم ينفذون أمره ويعملون بطاعته([3]).

أما إذا وضعت الأحداث في سياقها الصحيح، تبيّن أن النبوّة والكرامة قد خرجت من بني إسرائيل بشكل كامل ومطلق على يد النبي (صلى الله عليه وآله)، وحينئذ يتضح المراد من النص الوارد، وكيف أصبح "نبي الأمم" منفذًا لحكم الله تعالى في بني إسرائيل، وهو ما أثبتته الوقائع التاريخية, خصوصًا وأنه لم يكن لبني إسرائيل أي تواجد ذي أهمية في نواحي الفرات, بحيث يشكّلون موضوعًا للانتقام الإلهي, سواء بأيدي الوثنيين أم بأيدي غيرهم من الأمم.

وكذلك الحال بالنسبة للمسيحيين فإنه لم يحدّث التاريخ, المسيحي على الأقل, عن أي تحرك أو تواجد للسيد المسيح (عليه السلام) في تلك المنطقة, وعليه فمن غير الممكن حمل الذبيحة الإلهية عليه (عليه السلام), ولعل هذا هو السبب في عدم مقاربة أحد منهم لمضمون هذه النبوءة.

وهذا إن دل على شيء, فإنما يدل على أن الأمة المرضية لله تعالى, التي أنتجت هذه الذبيحة الإلهية, والتي تحدثت النبوءة عنها, لا ترتبط ببني إسرائيل, سواء في عهدهم القديم, أو في عهدهم الجديد.

ولازمه عدم اختصاص العناية الإلهية, والاصطفاء بهم خاصة من دون الناس كما يزعمون.

من ناحية ثانية، لم يتحدّث التاريخ عن مذبحة عند نهر الفرات، أريد بالذبيحة وجه الله تعالى إلا الإمام الحسين (عليه السلام) الذي أراد إعادة الحق إلى نصابه، وإعلاء كلمة الله تعالى (إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة)([4])، (إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي "صلى الله عليه وآله"، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)([5])، وبهذا الاعتبار يصحّ وصفه بأنه ذبيحة إلهية، ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وآله) في ما ورد عنه (حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا)([6]).

وهكذا يكون كلام أرميا إعلانًا نبويًا عن نهضة الحسين (عليه السلام)، غايته ربط بني إسرائيل بهذه الحركة إذا أرادوا النجاة والخلاص.

2- في رؤيا يوحنا:

وأما سفر الرؤيا فيكاد يكون كله نبوءات وبشائر عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وما يجري من الأحداث بعده، حتى مجيء المخلِّص في آخر الزمان (عجل الله فرجه الشريف) ولهذا فله أهمية خاصة، رغم أنه لم يول عناية لائقة به من قبل اللاهوتيين المسيحيين، وقد ذكرنا بعض الشواهد الدالة على ذلك في كتاب "قراءة في سفر الرؤيا"، مع اعتقادنا بأنه يحتاج إلى دراسات أوسع وأكثر عمقًا.

وفي ما يرتبط بالإمام الحسين (عليه السلام)، فإننا نجد نصًّا على قدر كبير من الأهمية، يقول الكاتب:

"ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربع وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض، فأتى وأخذ السفر من يمين الجالس على العرش، ولما أخذ السفر خرّت الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرون شيخًا أمام الخروف ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوء بخورًا هي صلوات القديسين، وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين مستحقّ أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلتنا لإلهنا ملوكا وكهنة فسنملك على الأرض"([7]).

ولكي يتضح المراد من النص، لا بد أولاً من ملاحظة أن التعبير بالحيوانات لا يراد به الإساءة أو التشنيع على هذه المخلوقات، وإنما يراد به منح هؤلاء الأشخاص المرموز إليهم فيه، أوسمة عالية، ذلك أنه ناشئ من الثقافة المسيحية المبنية على الرمزية في النصوص المقدسة، بحيث تحكي صورة كل واحد منها إلى المهمّة التي يضطلع بها صاحبها، ففي المسيحية يمثل كل واحد من الكائنات الأربعة، (وهي النسر، والأسد، والثور، والإنسان) بعدًا كماليًا من أبعاد النفس الإنسانية المختلفة.

1- فالنسر يرمز إلى قوة الله أو عدله، وأحيانًا يرمز إلى الكبرياء، وهي صورة مقتبسة من الديانات القديمة، فقد صوّرت مصر الشمس بجناحي النسر، ولعله لهذا شبّه إله الكتاب المقدس نفسه بالنسر.

2- وأما الأسد فيرمز إلى القوة والبطش، ولهذا أطلق اليهود على داود (عليه السلام) لقب "أسد يهوذا"، نظرًا إلى أنه أقام الدولة فعلاً، ثم أعطي هذا اللقب لكل حاكم وسلطان قوي ظهر فيهم.

3- وأما الثور فيرمز بشكل مبدئي إلى القوة والعنفوان، وإلى الخصوبة وغيرها، وأعطاه المسيحيون بعدًا دينيًا وروحانيًا في ذبائح العهد القديم، لما فيه من دلالة على انتصار الإنسان على أهوائه وشهواته.

4- وأما الإنسان فيرمز إلى الإنسان المتجذّر في الأرض والمدعو إلى السمو والارتقاء نحو الله تعالى([8]).

واعتبر آخرون أن هذه الحيوانات أو الكائنات الأربعة ترمز إلى الأمانة ويمثلها الثور، والسيطرة والقوة ويمثلها الأسد، والذكاء ويمثلها الإنسان، والرفعة والسمو ويمثلها النسر([9]).

وعليه فيمكن اختصار المعاني المعطاة لهذه الكائنات على أنها أسس وركائز لا بد منها في إقامة الحكومة الإلهية، حيث إن الحكومة الإلهية ينبغي أن ترتكز على القانون الإلهي في بعديه التكويني والتشريعي، وما دامت تحتوي على إشارات، ذات دلالة على الأشخاص الذين يتمتّعون بهذه المواصفات المرضية والمطلوبة لله تعالى، فلا بد من حمل هذه الرموز بصورة أو بأخرى على أهل الكساء عليهم السلام دون غيرهم، خصوصا بملاحظة الفترة الزمنية التي صدرت فيها هذه الرؤية، التي كانت بعد السيد المسيح (عليه السلام)، وأن الرائي كان من تلاميذه، كما

يفترضونه، ما يعني أنه كان يعرفه حق المعرفة، وأنه كان دليله وصاحبه في تلك الرحلة الملكوتية، وبملاحظة أن السيد المسيح قد اقتصر في وظيفته ودعوته الشريفة على الوعظ والتبشير بملكوت الله الآتي، والمتمثّل بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وتعرّضنا له بشيء من التفصيل في كتاب "المسيح في الإنجيل - بحث في لاهوته وناسوته".

فإذا ضممنا كل ذلك إلى التعبير الوارد على لسان السيد المسيح (عليه السلام) من قوله: "مملكتي ليست من هذا العالم"([10])، بل ليس من حقه الملك في بني إسرائيل، نظرًا لكونه من ذرية هارون (عليه السلام) الذين لهم الكهنة والوعظ، وأما الملك فهو خاص في نسل يهوذا حسب ما دل عليه الكتاب المقدس نفسه، دلّ ذلك كله على أن من غير الممكن إرادة السيد المسيح (عليه السلام) من هذا الحمل المذبوح، كما يفترضه المسيحيون([11]).

إن التعبير الوارد في النص بأن الحمل المذكور مذبوح وليس مصلوبًا، يشكّل قرينة أخرى على عدم إمكان إرادة السيد المسيح (عليه السلام) من النبوءة، إذ لا تصحّ الكناية والترميز عن المصلوب بأنه مذبوح كما لا يخفى، خصوصًا وأن سفر الرؤيا يتحدّث في مختلف فصوله عن حكومة إلهية في الأرض بعد السيد المسيح (عليه السلام)، وهو ما لم يحدث في تاريخ الإنسانية بعده إلا مع النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فلا بد من ملاحظة تعاليم هذا النبي (صلى الله عليه وآله)، وما تلا بعثته من أحداث على المستوى الواقعي.

وحيث إنه لم يتحدّث التاريخ عن ذبيحة إلهية تستوجب غضب الله تعالى على الذابحين سوى حالة واحدة قرب نهر الفرات، دلّ ذلك على أن المراد به هو نفس الذبيحة الإلهية التي تحدّث عنها سفر أرميا قرب نهر الفرات وهو الإمام الحسين (عليه السلام)([12]).

---

[1] - سفر أرميا: 46/6-10.

[2] - عهد الله مع قلوب متجددة، أرميا النبي، ص395-396.

[3] - للتوسع في القانون التوراتي يمكن مراجعة كتاب "وعد التوراة لمن – قراءة مختلفة في التوراة".

[4] - بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2: 44/325.

[5] - نفس المصدر السابق: ص329.

[6] - المصدر السابق: 43/261، باب فضائل الحسنين (ع)، حديث 1.

[7] - رؤيا يوحنا اللاهوتي: 5/6-10.

[8] - سفر الرؤيا بين الأمس واليوم ص223-225.

[9] - التفسير التطبيقي للعهد الجديد ص908.

[10] - انجيل يوحنا: 18/ 36.

[11] - للتوسع في هذه المسألة يمكن مراجعة كتاب: قراءة في سفر الرؤيا.

[12] - للتوسع في مداليل النصوص ومحاكمتها راجع: قراءة في سفر الرؤيا.

الهوامش

* باحث إسلامي ومدرّس في الحوزة العلمية.

وفاء العباس(ع)

الشيخ منذر الفقيه

وفاء العباس عليه السلام

عبْرَ نظرةٍ سريعة في نصوص كربلاء

الشيخ منذر الفقيه*

سموّ منزلة العباس (عليه السلام):

كلّ مطّلع على نصوص كربلاء يلمس بوضوح أن العباس (عليه السلام) كان يمثّل الشخصية الثانية بعد الإمام الحسين (عليه السلام).

ومن مجمل النصوص التي تتحدّث عن العباس (عليه السلام) نكتشف أننا أمام شخصيّة فريدة، لها طابعها المميّز، ينبغي علينا أن نحاول معرفتها وإدراك أبعاد العظمة فيها حتى لا نُحرم من بركاتها في الدنيا على صعيد العمل والتأسّي، وفي الآخرة على صعيد الأجر والثواب والمقام الرفيع مع محمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين).

أوّل من عظّم العباس وتحدّث عن سموّ منزلته هم أهل البيت (عليهم السلام).. حيث ورد في شأنه عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

(إن ولدي العباس قد زقّ العلم زقًّا)([1]).

ويقول إمامنا جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): (كان عمّنا العباس بن علي نافذَ البصيرة، صلْبَ الإيمان، جَاهَدَ مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاءً حسنًا ومضى شهيدًا)([2]).

وقال إمامنا السجّاد زين العابدين (عليه السلام) متحدثًا عن مآثره ومنزلته: (فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يداه فأبدله الله عز وجل منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة)([3]).

ويتبوّأ العباس (عليه السلام) في كل زيارة من زيارات الإمام الحسين (عليه السلام) تقريبًا مركزًا خاصًا، حيث يرد ذِكْرُه مقرونًا بالسلام عليه مع تمجيدٍ لمَوَاقِفِه، هذا عدا عن الزيارات الخاصة به التي وردت عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فنقرأ في زيارته التي رواها أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يلي:

(سلام الله، وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصدّيقين، والزاكيات الطيّبات فيما تغتدي وتروح عليك يا ابن أمير المؤمنين، أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل، والسّبط المنتجب، والدليل العالِم، والوصي المبلّغ، والمظلوم المهتضَم، فجزاك الله عن رسوله، وعن أمير المؤمنين، وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم أفضل الجزاء بما صبرتَ واحتسبت وأعنتَ، فنِعْمَ عقبى الدار. لعن الله مَن قتلكَ، ولعن الله مَن جهلَ حقّك واستخفّ بحرمتك، ولعن الله مَن حال بينك وبين ماء الفرات).

فصيغة السلام الواردة في هذه الزيارة تُظهر الفئة التي ينتمي إليها العباس (عليه السلام)، فهو ينتمي بحسب توضيح الإمام الصادق (عليه السلام) إلى فئة الملائكة والأنبياء والشهداء والصدّيقين.. لأن نهج العباس (عليه السلام) كان نهج الأنبياء والصديقين والصالحين عبر التاريخ، بل جاء العباس - عليه السلام - كما جاءت ملحمة الشهادة في كربلاء لترسيخ أصول هذا النهج الإلهي، فاستحق سلام الأنبياء والربانيين جميعاً..

فبالشهادة، وبتلك الدماء الزاكيات، حفظ الله سبحانه مواريث الأنبياء من الضياع في زحمة أساطير الطغاة، وهكذا كان الإمام الحسين (عليه السلام) وارث الأنبياء جميعاً..

وتُبيّن الشهادة التالية لمقطع السلام، مبرّرات انتماء العباس (عليه السلام) إلى هذه الفئات من عباد الله الصالحين، فهو: مسلّم، مصدِّق، وفـيٌّ، ناصح للإمام الحسين (عليه السلام)، أي أنه وفـيٌّ بالتزامه الإيماني النابع من كونه مسلمًا مخلصًا، لأن الحسين (عليه السلام) هنا ليس أخًا، بل هو قائد الإسلام.

إنها كلمات تعبر عن الصفات المثلى لأبي الفضل؛ فالتسليم مثلاً هو من الدرجات العظيمة التي ينالها البشر الذين يرتقون مدارج الإيمان، حيث نتلو في القرآن الكريم أن نبــي الله إبراهيم (عليه السلام) سأل ربه في أواخر أيام حياته أن يجعله الله وابنه إسماعيل من المسلمين، حيث قال: **{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}**([4]). ولقد بلغ العباس (عليه السلام) درجة التسليم، ونحن نشهد له بذلك، فمن سلَّم لله تعالى لا بد أن يصدّق بولي الله، وأن يدافع عنه ويصبر، ويفي بعهده معه.

وبعد أن حدّد الإمام الصادق (عليه السلام) في المقطع السابق الفئة التي ينتمي إليها أبو الفضل (عليه السلام)، يعود في مقطع آخر من نفس الزيارة ليصنّفه من جديد مع فئة أخرى كان لها أثرٌ حاسم في مسيرة الإسلام ألا وهي فئة "البدريّين"، ولا يخفى أن هؤلاء يحتلّون أسمى مرتبة في قوافل الشهداء الكرام الذين رزقوا الشهادة بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله).

يقول سلام الله عليه: (أشهدُ وأُشهِدُ الله أنك مضيت على ما مضى عليه البدريّون المجاهدون في سبيل الله، الناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرة أوليائه، الذابّون عن أحبّائه ...).

وهذه شهادة حق تنبعث من فم الإمام المعصوم؛ الإمام الصادق (عليه السلام)، على أن طريق العباس (عليه السلام) كان طريق أهل بدر.

فالبدريون هم الذين ساهموا في ترسيخ دعائم الرسالة الإلهية، واستبسلوا في الدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهم قلة قليلة، واجهوا عدواً يفوقهم عدداً وعدة.

وكذلك العباس (عليه السلام) وسائر أنصار الحسين (عليه السلام) ساهموا في ترسيخ أصول الحق في مواجهة الردة التحريفية لبني أمية، وواجهوا الأعداء الشرسين، وقاتلوا مُحتسبين حتى قتلوا، وكان التقدير الإلهي أن يجعل من شهادتهم نصراً لرسالتهم، ومن دمائهم شهادة على صدقهم.

من خلال ما تقدّم من النصوص المباركة المختصرة - وغيرها كثير - نستنتج أن أوّل مَن عظّم العبّاس (عليه السلام) ورسم ملامح شخصيّته الفذّة وعرّفنا طبيعةَ ملكاته السامية ومواقفه الخالدة ودرجة يقينه وإخلاصه وتقواه.. هم أئمة الهدى من أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين.

صفات العباس (عليه السلام) العامة:

ممّا يُؤسف له أن سيرة العباس (عليه السلام) ليست متوافرة بشكلٍ كافٍ حتى يستطيع الباحث أن يعطي صورة تفصيلية عن حياته..

ومع ذلك، فإن النصوص التي تناولت سيرته - على الرغم من ندرتها - قد اندكّت فيها أروع خصائصه البطولية والأريحيّة، بحيث لو ذُكر اسم العبّاس (عليه السلام) مجردًّا، لقفزت هذه الصفات إلى الأذهان مباشرة من دون أي واسطة أو اعتراضٍ أو تشويش.. هذا بالإضافة إلى الميّزة المهمة التي ميّزت هذه النصوص عن غيرها من النصوص والمرويّات التاريخية ألا وهي أن معظمها قد ورد على لسان الأئمة (عليهم السلام).. ولعلّ هذا الأمر من مختصّات العباس (عليه السلام) التي اختصّه الله تعالى بها.

على ضوء النصوص الواردة بحقه (عليه السلام) نستطيع أن نرسم مجموعة من الصفات قد امتاز بها العباس وجعلته علامة مميّزة عبر التاريخ ميّزت بينه وبين رجال الله المضحّين في سبيل الدين.. فمن هذه الصفات:

1 - الأدب الرفيع: حيث لم يُسمع يومًا ينادي أخاه الحسين (عليه السلام) "يا أخي"، وإنما كان نداؤه دائمًا: "سيّدي أبا عبد الله"([5])، تأكيدًا منه على مقام الإمام (عليه السلام) وعظمته وفضله وأنّه سيّده المأمور بطاعته، نعم، في موقف واحد فقط ناداه "أخي يا حسين"([6])، وذلك عندما سقط إلى الأرض مقطوع الكفّين مثقلاً بالجراحات، فقال في لحظات الوداع "أخي حسين أدرك أخاك"([7]).

2 - كفالة السيّدة زينب (عليها السلام)، التي طلبت من أخيها الإمام الحسين (عليه السلام) كفيلاً في خروجها معه إلى كربلاء، فكان العباس (عليه السلام) ذلك الكفيل([8]).. والكفالة تعني أمورًا كثيرة ولا يقوم بها إلاّ أهلها...

3 - **ساقي العطاشى**، وهذه المهمة لا يقوم بها إلاّ الشجعان([9]).

4 - **المدافع** الذي حين قُطعت يمينه أخذ اللواء بشماله وهو يدافع عن الدين، ويدافع عن المبادئ الإسلامية الأصيلة التي تعرّضت للخطر أيام الحكم الأموي الأسود، كما أنّه إنما يقاتل دفاعًا عن إمام المسلمين سبط رسول الله وريحانته، ودفاعًا عن حقوق المستضعفين والمظلومين حتى قُطعت يساره وسقط.

5 - **الجريح** الذي لم تحُل جراحاته دون مواصلته للجهاد حتى قضى شهيدًا على أرض كربلاء.

6 - **الصّدق** الذي تجلّى عندما كلّم "شمرًا" حينما أرسل إليه وطالبه بقرابته، ولما عرض عليه الأمان دون أخيه الإمام (عليه السلام) قال العباس: (لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟)([10]).. فكان الصادق الوفـيّ في موقفه، وسنتعرّض لهذه الواقعة لاحقًا في سياق البحث بإذن الله تعالى.

7 - **المواسي** لأخيه حينما رمى بالماء بعد أن أحسّ ببرودته وقلبه يتفطّر من العطش بعدما قرّبه من فمه قائلاً: (لا والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان)([11]).

والصفتان الأخيرتان إن دلّتا على شيء فإنما تدلاّن على سموّ نفس أبي الفضل العبّاس (عليه السلام).

يتبع =

---

[1] - أسرار الشهادات، الدربندي، الطبعة الحجرية: ص 324

[2] - شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي: 3/184؛ راجع أيضًا مقتل الحسين(ع)، أبو مخنف الأزدي، منشورات المرعشي النجفي: ص176.

[3] - الخصال، الصدوق، جماعة المدرسين، قم: ص68.

[4] - سورة البقرة الآية 128.

[5] - الخصائص العبّاسية، محمد إبراهيم الكلباسي النجفي، انتشارات المكتبة الحيدرية، طبع 1420هـ: ص92.

[6] - المصدر السابق نفسه: ص92.

[7] - المصدر السابق: ص: 92، وفي نفس المصدر صفحة 137: يا أخي أدرك أخاك.

[8] - المصدر السابق: ص151؛ قمر بني هاشم، الحاج حسن الشاكري، معاصر: ص21، قال: (من الألقاب المشهورة لأبي الفضل "حامي الظعينة".

[9] - أنساب الأشراف، البلاذري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1: ص192. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: 3/182 وص191.

[10] - الإرشاد: 2/89؛ إعلام الورى بأعلام الهدي، الطبرسي، مؤسسة آل البيت، ط1: 1/454، وروي باختلاف في لفظه، راجع: تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت: 4/315؛ مقتل الحسين، ابن نما، المطبعة العلمية، قم: ص104.

[11] - مقتل الحسين، أبو مخنف الأزدي، منشورات المرعشي، قم، 1398: ص98.

.

تتمة مقال = وفاء العباس(ع)

وفاء العباس (عليه السلام):

يمثّل العباس (عليه السلام) بحرًا من الصفات والفضائل لا تنفك عنه ولا ينفك عنها، فكأنّ العباس (عليه السلام) كتلة من فضائل متحرّكة كلما أردت أن تغلّب واحدة على أخرى برزت لك الثالثة لتقول أنا به أولى.

لقد اشتمل العباس (عليه السلام) بالوفاء، واشتمل به الوفاء..

وتسربل بالإيثار، وتسربل به الإيثار..

وتخندق بالشجاعة، وتخندقت به الشجاعة..

لقد مثّل كل الفضائل، فتمثّلت فيه كل الفضائل..

إن سطرًا واحدًا من الزيارة التي رواها أبو حمزة الثمالي عن الصادق (عليه السلام) اشتمل على أربع صفات لو جمعها الإنسان لكسب سعادة الدارين، وذلك هو الفوز العظيم.. فكيف بك إذا أردت الوقوف على بقيّة صفاته صلوات الله وسلامه عليه.

يقول الإمام عليه السلام: (أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخَلَف النبي المرسل..)..

التسليم.. التصديق.. الوفاء.. النصيحة..

هذه أروع الصفات، حيث جمعت خير فضائل الإنسانية، ولا نستطيع التفكيك بينها.. والقاسم المشترك بين هذه الصفات هو "الوفاء".

فالتسليم بالأمر، سواء كان للمعبود تبارك وتعالى أو للرسول (صلى الله عليه وآله) أو للإمام (عليه السلام) لا يمكن أن يتم من دون صفة الوفاء.. وهذا هو معنى الوفاء للدين.

إطاعة الله ورسوله وأولي الأمر هي فرع الوفاء لدين وشرع الله تبارك وتعالى.

ولهذا فإننا نصف المجاهد في سبيل الله بأنه كان وفيًّا لدينه.

ومن نفس المنطلق نقول بأن "العهد" و"الوعد" و"الأمانة" لا مصداقيّة لها في العُرف العام والخاص من دون أن يتحلّى "المعاهد" و"الواعد" و"الأمين" بصفة الوفاء.

ومن هنا أيضًا يصف الله تعالى رجال الحق بأنهم **{رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}**([1]) أي وفّوا بعهدهم، فهم أصحاب وفاء لعهودهم أي رجال أوفياء.

ونفس الأمر ينسحب على بقية الصفات من التسليم والتصديق والنصيحة وغيرها من الصفات..

إذًا القاسم المشترك للفضائل جميعًا هو الوفاء..

لقد ضرب أبو الفضل العباس (عليه السلام) أروع الأمثلة لكيفيّة الوفاء وأعطى صورة واضحة وناصعة لمصداق الوفاء في أعلى مراتبه.

وبعبارة أخرى لقد بلغ أقصى الجهد في تحقيق هذه الصفة المباركة.. الوفاء لدين الله بكل مراتبه التي يعجز عنها العظماء من الرجال.

مواقف العباس (عليه السلام) في نصوص كربلاء

وقاسمها المشترك "الوفاء"

نعود إلى نصوص كربلاء من جديد لنسرد واقع وفاء العباس (عليه السلام) في مختلف المواقف التي وقفها مع الحسين (عليه السلام) وأصحاب الحسين والنساء والأطفال من آل بيت النبوة، ولا داعي للتعليق على هذه النصوص فهي غنية عن التعليق، اللهم سوى بعض الملاحظات التي لا بد منها.. وكما سبق أن قلنا فإن مجموع هذه المواقف تنضوي تحت قاسم مشترك واحد ألا وهو الوفاء لدين الله تعالى ولرسوله ولخليفة رسوله صلوات الله عليهم أجمعين.

عند الدخول إلى نصوص كربلاء، نجد أنّ أوّل نصّ يتحدّث عن العباس (عليه السلام) في كربلاء هو النص الذي يحدّثنا عن كتاب أمان كتبه ابن زياد للعبّاس (عليه السلام)، ورد النص في كتاب "إبصار العين" كما يلي:

"لمّا كاتب عمر بن سعد عبيد الله بن زياد في أمر الحسين عليه السلام وكتب إليه على يدي شمر بن ذي الجوشن بمنازلة الحسين عليه السلام ونزوله، أو بعزله وتولية شمر العمل، قام عبد الله بن أبي المحلّ بن حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر الوحيد، وكانت عمّته "أم البنين"، فطلب من عبيد الله كتابًا بأمان العبّاس وإخوته، وقام معه شمر في ذلك فكتب أمانًا وأعطاه لعبد الله"([2]).

قبل استكمال النص لا بد من الوقوف عند رضوخ ابن زياد وموافقته على كتابة كتاب الأمان للعباس (عليه السلام) وإخوته، فهل كتب ابن زياد هذا الكتاب لمجرّد إكرام أخوال العباس وإخوته.. أم أن هناك سببًا آخر؟!.

الذين كانوا يعرفون العباس (عليه السلام) - وابن زياد منهم بحكم علاقة أبيه بأمير المؤمنين قبل أن ينحرف زياد - كانوا حريصين تمام الحرص على فصل العباس عن الإمام الحسين نظرًا للشجاعة التي يتميّز بها أبو الفضل (عليه السلام) ممّا يُعتبر توجيه ضربة كبيرة لمعسكر الحسين (عليه السلام).

ويتابع النص:

"أرسل عبد الله بن أبي المحلّ بالكتاب مع مولى له يقال له "كزمان"، فأتى به إليهم، فلمّا قرأوه قالوا له: أبلغ خالنا السلام وقل له أن لا حاجة لنا في الأمان، أمان الله خير من أمان ابن سميّة، فرجع"([3]).

إن معرفتنا بعظمة العباس ووفائه للإمام الحسين (عليه السلام) تجعلنا نرى أن من الطبيعي أن يرفض الأمان.. ولكن معرفتنا أيضًا بالجوّ الذي كان فيه العباس وإخوته يجعلنا ندرك أبعاد وفائه وعظمته، فما يجب أن نقف عنده هو جوّ الجواب ودلالاته والمخزون الإيماني الذي يمكن أن يُستوحى من كلام أبي الفضل وإخوته.

ولدينا نص آخر حول "كتاب الأمان"، وهو نص مشهور، وشهرته أكبر من النص السابق، أورده السيد عبد الرزاق المقرّم في "مقتله"([4])، ونجد فيه أن الشمر خاطب العباس وإخوته في اليوم العاشر من محرم، وفي رواية أخرى في اليوم التاسع.. يقول النص:

"ووقف الشمر ناحية ونادى أين بنو أختنا أين العباس وأخوته؟ فأعرضوا عنه فقال الحسين عليه السلام: أجيبوه ولو كان فاسقًا، فأجابوه وقالوا: ما شأنك وما تريد؟ قال: يا بني أختي أنتم آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد، فقال العباس: لعنك الله ولعن أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء"([5]).

وإنما قال الشمر ما قال، لأن جدّ أم البنين وجدّ الشمر إخوة، وهي قرابة بعيدة، وهو يروم من وراء ذلك إضعاف معسكر الحسين (عليه السلام) كما تقدّم.

ظنّ الشمر أن أهل البيت (عليهم السلام) إذا وضعوا بين السِلّة والذلة فإنهم سيختارون الذلّة.. ولعلّ مثل هذا العرض يغري ضعاف النفوس أمثاله.. ولكنّ العباس الذي آمن برسول الله والنور الذي أُنزل معه، ذي المعدن الأصيل.. كان منزعجًا جدًا، ليس من العرض نفسه فحسب، بل لأنه لا يزال لأولئك العتاة الأمل في أن يقبل العباس منهم الدخول في طاعة يزيد عبر التهديد له بالموت.

إن العباس هو سليل عليّ بن أبي طالب الذي كان يقول: "والله.. لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه"..

إن العباس هو عم علي الأكبر الذي كان يقول: (ألسنا على الحق؟.. إذًا لا نبالي)([6]).

لم يكن الموت بأي شكل من الأشكال يخيف أمثال العباس وإخوته، ولكن الشمر وأضرابه من أشباه الرجال يقيسون الناس بموازينهم هم، فصاحب الإيمان يرى الناس من خلال صفاته الشخصيّة، ويزن أعمالهم على الطراز الذي يودّ منهم أن يزنوا أعمالهم على منواله، وأما المنافق فإنه يزن الآخرين من خلال نفسه المريضة ويظن أنهم مثله، مستعدّون لبيع آخرتهم بدنيا دنيّة لم يبقَ منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل - حسب تعبير الإمام الحسين عليه السلام -.

لقد كان جواب العباس (عليه السلام): (أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟؟)([7])..

كل شيء بالنسبة للعباس مرتبط بالحسين (عليه السلام).. هذه هي وحدة المصير.. ووحدة الهدف والرؤيا.. وهذا هو الوفاء للدّين الذي يجسّده العباس (عليه السلام) في كل موقف من مواقفه الكثيرة في تاريخ حياته الحافل بالمجد والبطولات.

ونعود مرة أخرى إلى نصوص كربلاء... فنجد نصًا يتحدث عن أمر الحسين (عليه السلام) للعباس بجلب الماء قبل اليوم العاشر من المحرّم، يقول النص كما أورده السيد المقرّم في " مقتله":

"لمّا مُنع الحسين عليه السلام وأصحابه من الماء وذلك قبل أن يجمع على الحرب، اشتدّ بالحسين وأصحابه العطش، فدعا أخاه العباس فبعثه في ثلاثين فارسًا وعشرين راجلاً ليلاً، فجاؤوا حتى دنوا من الماء، وتقدّم نافع بن هلال الجملي باللواء فصاح عمرو بن الحجاج: مَن الرجل؟.. قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي منعتمونا عنه، فقال: اشرب هنيئًا ولا تحمل إلى الحسين منه. قال نافع: لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين ومَن معه من آله وصحبه عطاشى، وصاح نافع بأصحابه: املأوا أسقيتكم، فشدّ عليهم أصحاب ابن الحجاج، فكان بعض القوم يملأ القِرَب وبعض يقاتل.. وحاميهم "العباس عليه السلام"، فجاؤوا بالماء وليس أحد من أعدائهم تحدّثه نفسه بالدنو منهم فَرَقًا من ذلك البطل المغوار، فبلّت غلّة الحرائر والصبية من ذلك الماء"([8]).

وهناك نص أورده صاحب "ابصار العين" قال:

"وكان العباس ربما رَكَزَ لواءه أَمَام الحسين عليه السلام وحامى عن أصحابه، أو استقى ماءً فكان يلقّب بالسقّاء" ([9]).

وكذلك نجد حديث أبي الفضل العباس (عليه السلام) في نص يتحدّث عن اليوم التاسع من المحرّم، يقول النص:

"كان الحسين عليه السلام جالسًا أمام خيمته محتبيًا بسيفه وخفق برأسه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول: إنك صائر إلينا عن قريب، وسمعت زينب أصوات الرجال وقالت لأخيها: قد اقترب العدو منّا، فقال لأخيه العباس: اركب بنفسي أنت حتى تلقاهم واسألهم عما جاءهم وما الذي يريدون، فركب العباس في عشرين فارسًا، منهم زهير وحبيب، وسألهم عن ذلك، قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو ننازلكم الحرب"([10]).

وقبل الدخول إلى النص الأخير نتوقف عند ملاحظة حول منزلة العباس ووفائه من خلال سياق هذه النصوص.

فنقرأ في الأولى: (فكان بعض القوم يملأ القِرَب وبعض يقاتل.. وحاميهم "العباس عليه السلام").

وفي الثانية: (وحامى عن أصحابه، أو استقى ماءً).

وفي الثالثة: (فركب العباس في عشرين فارسًا منهم زهير وحبيب).

الأصحاب يستقون الماء والعباس حاميهم.. وهو حامي العيال والأطفال أيضًا..

والعباس يستقي الماء وحده..

والعباس يُنتدب من قبل الحسين في مهمات عاجلة ويكون في ركبه زهير بن القين وحبيب بن مظاهر على جلالة قدرهما وعلو شأنهما عند الحسين عليه السلام..

كل ذلك يدل على أن العباس كان رجل المَهمّات.. مع إدراك جميع أصحاب الحسين عليه السلام لقدرات ومكانة وعظمة وسمو شأن العباس عليه السلام.

ولن نتعرّض لقول الإمام (عليه السلام) للعباس: (بنفسي أنت).. فهذه الكلمة بحاجة لبحث مستقل..

يتبع =

---

[1] - الأحزاب من الآية 23.

[2] - إبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام)، السماوي، ط1، 1419 هـ: ص 58.

[3] - نفس المصدر السابق.

[4] - حاشية: مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص 209

[5] - الإمام الحسين عليه السلام للشاكري: ص66-67، نقله عن ابن نما، ص: 28؛ إبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام)، السماوي، ط1، 1419 هـ: ص58-59، نقله عن تاريخ الطبري: 3/313.

[6] - مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، المكتبة الحيدرية، النجف: ص74.

[7] - الإرشاد، الشيخ المفيد، دار المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت: 2/89؛ تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت: 4/315؛ وغيرهما.

[8] - إبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام) السماوي، ط1، 1419 هـ: ص58، نقله عن تاريخ الطبري: 3/312، بتفاوت وسقط في العبارة.

[9] - إبصار العين في أنصار الحسين (عليه السلام) السماوي، ط1، 1419 هـ: ص60- 61.

[10]- الإمام الحسين عليه السلام للشاكري: ص70، نقله عن الطبري: 6/37؛ روضة الواعظين: ص157؛ البداية لابن كثير: 8/176؛ الإرشاد للمفيد.

.

تتمة مقال = وفاء العباس (ع)

إن خير ما يدل على ما كان عليه العباس وأصحاب الحسين عليه السلام هو ما قاله الإمام نفسه عنهم، حيث ورد النص أن الحسين جمع أصحابه ليلة العاشر وخطب فيهم خطبة أقل ما نقوله فيها بأنها كانت أوسمة علّقها على صدورهم قبل مضيّهم إلى ربهم بليلة واحدة حيث قال سلام الله عليه:

(أما بعد، فإني لا أعلم أصحابًا أولى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنّي جميعًا خير الجزاء...)([1]).

والله إنها لمفخرة تاريخية رائعة لأصحاب وأهل بيت الحسين (عليه السلام) أن يشهد الإمام لهم هذه الشهادة التي ستبقى وسامًا معلّقًا على صدورهم مدى الدهر وعلى مر الأيام والعصور..

بقي لدينا النص الذي يلخّص وفاء وإيثار وإخلاص أبي الفضل (صلوات الله عليه)..

قمة الوفاء في استشهاده (عليه السلام):

تختلف المصادر في تحديد مقدمات شهادة أبي الفضل (عليه السلام).. وهنا سنعتمد على ما هو المشهور من الروايات التي تفصّل كيفيّة استشهاده فنقول:

(بعد استشهاد إخوته جاء العباس إلى الحسين (عليه السلام) واستأذنه في القتال، فقال له الحسين (عليه السلام): أنت حامل لوائي. فقال: لقد ضاق صدري، وسئمت الحياة.. فقال له الحسين عليه السلام: إن عزمتَ فاستسقِ لنا ماءً)([2]).

أنت حامل لوائي([3]):

مسألة حمل الراية أو اللواء ليست مسألة عادية.. فمنذ القِدَم والراية تحمل معنىً رمزيًا عظيمًا في قانون الدول والثورات والحروب، ولذلك فإن العَلَم له احترامه الخاص حيث يؤدي له رئيس الدولة التحية.. وكذلك الأمر في رفض العلم وتمزيقه أو إحراقه الذي يدل على رفض الدولة وسلطتها من قبل القائمين بذلك العمل..

وبمقدار ما للراية من قيمة، فإن لحاملها مكانة عظمى، إذ لا تُعطى الراية إلاّ للشجعان الأوفياء، وقد قال الإمام علي عليه السلام في أيام صفّين:

(لا تميلوا برایاتكم، ولا تزیلوها، ولا تجعلوها إلاّ مع شجعانكم، فإن المانع للذّمار، والصابر عند نزول الحقائق أهل الحِفَاظ.. اعلموا أن أهل الحفاظ هم الذين يحتفون برایاتهم، ويكتنفونها ويصيرون حفافيها، وورائها، ولا يضيعونها ولا يتأخرون عنها فيسلمونها ولا يتقدمون عنها فيفردوها)([4]).

وعقد رسول الله صلى الله عليه وآله أول راياته بيد حمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة..

وأعطى النبي صلى الله عليه وآله الراية لأمير المؤمنين عليه السلام في فتح خيبر حيث قال: (لأعطيّن الراية غداً رجلٌ يحبه الله ورسوله..)([5])..

قال أبو البختري القرشيّ: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصيّ ابن كلاب، ثمّ لم تزل الراية في يد ولد عبد المطّلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث الله رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم فصارت راية قريش وغير ذلك إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأقرّها في بني هاشم، وأعطاها علي بن أبي طالب في غزوة ودّان، وهي أوّل غزوة حمل فيها راية في الإسلام مع النبيّ، ثمّ لم تزل معه في المشاهد: ببدر وهي البطشة الكبرى، وفي يوم أُحد وكان اللواء يومئذ في بني عبد الدار فأعطاها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مصعب بن عمير فاستشهد ووقع اللواء من يده، فتشوّفته القبائل، فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ودفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فجمع له الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم([6]).

إن الراية هي عقدُ نظام العسكر وآية زحفهم، وما دامت مرفوعة فإنها تعني إشارة الظّفر وعلامة الفوز، أما إذا نكّست أو سقطت فإنها تعني الهزيمة، ولذلك تُعطى الراية للأكفّاء الغيارى ممّن لا يبخسه الخور، ولا يفشله الضعف ولا يخذله الطمع..

ولنا أن نتصوّر معنى أن يكون العباس (عليه السلام) حاملاً للواء الحسين في كربلاء..

فراية العباس يوم الطف يوم عاشوراء يوم كربلاء هي ذاتها التي عقدها الرسول (صلى الله عليه وآله) لحمزة([7])، وحملها علي (عليه السلام) في بدر، وأُحد، والخندق ([8])، ثم حملها الإمام علي في معاركه([9])، وها هي خفاقة في يد أبي الفضل (عليه السلام)..

العباس هنا في موقعه الصحيح تمامًا.. ولهذا أعطاه الحسين (عليه السلام) رايته..

ولا نريد الاسترسال أكثر فإن الكلام هنا لا تدرك غايته..

ونتابع مع النص الآنف([10]):

(فأخذ قربته وحمل على القوم حتى ملأ القربة، قالوا: واغترف من الماء غرفةً ثم ذكر عطش الحسين عليه السلام فرمى بها وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني هذا الحسين وارد المنون	وبعده لا كنتِ أن تكوني وتشربين بارد المعينِ).

ذكر عطش الحسين فرمى الماء من يده..

أيّ وفاء هذا للحسين (عليه السلام)؟.. ألم يكن ممكنًا للعباس أن يقول: أشرب الماء فأتقوّى به على الأعداء؟؟.. ألم يكن؟؟ ألم يكن؟؟..

كلا.. ليست هذه طبائع العباس (عليه السلام).. فالغاية لا تبرّر الوسيلة.. والوسائل تقوم عند العباس (عليه السلام) على الأنفة والحمية والغيرة والشجاعة والوفاء لما عاهد الله عليه.. من النصرة لسليل النبيين وحافظ دين سيّد المرسلين الإمام الحسين (عليه أفضل صلوات المصلّين)..

ويتابع النص([11]):

(ثم عاد فأُخذ عليه الطريق، فجعل يضربهم بسيفه ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا إنّي أنا العباس أغدو بالسِقا	حتى أُوارى في المصاليت لِقى ولا أهاب الموت يوم الملتقَى

فضربه حكيم بن طفيل الطائي السنبسي على يمينه فبراها فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتُمُ يميني وعن إمامٍ صادق اليقينِ	إنّي أحامي أبدًا عن ديني نجل النبي الطاهر الأمين

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فبراها، فضمّ اللواء إلى صدره - كما فعل عمّه جعفر في مؤتة - وهو يقول:

ألا ترون معشرَ الكفّار	قد قطعوا ببغيهم يساري

فحمل عليه رجل تميمي من أبناء "أبان بن دارم"، فضربه بعمود على رأسه خرّ صريعا إلى الأرض، ونادى بأعلى صوته: أدركني يا أخي.. فانقضّ عليه أبو عبد الله كالصقر فرآه مقطوع اليمين واليسار مرضوخ الجبين مشكوك العين بسهم مرتثًا بالجراحة، فوقف عليه منحنيًا وجلس عند رأسه يبكي حتى فاضت نفسه..)..

لقد سقط العباس شهيدًا وهو يعلم بما للشهيد من أجر عظيم عند الله.. سقط شهيدًا وصوت أخيه الحسين يتردّد في أذنيه: (فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما)([12]).

نال العباس شرف الشهادة في الله.. بعد أن فتح عينه في عين وليّ الله.. وأغلقها في عين وليّ الله..

كما عاش حياته مع أولياء الله.. فكان هو أيضًا من أولياء الله..

لقد مثّل عليه السلام كلّ الفضائل، فتمثّلت كل الفضائل فيه.. وزادت في القِيَم قيمة جديدة اسمها: (العباس).

فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيّا..

انتهى المقال

االهوامش

[1] - تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت: 4/317؛ ورواه باختلاف يسير في الإرشاد، الشيخ المفيد، دار المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت: 2/91.

[2] - مقتل الحسين، أبو مخنف الأزدي، منشورات المرعشي، قم، 1398: ص178.

[3] - الراية تُستَعمل أثناء الحرب، وتكون مع قائد المعركة. واللواء يوضع فوق معسكر الجيش علامة عليه، وكان يُعقد لأمير ذلك الجيش.

والفرق بين الراية واللواء هو أن اللواء ما يعقد في طرف الرمح، ويلوى عليه، ويقال له العَلَم، وهو أكبر من الراية. وهو علامة لمحل أمير الجيش، يدور معه حيث دار، أما الراية فتكون أصغر من اللواء، وهي ما يعقد في الرمح، ويترك حتى تصفقه الرياح، ويتولاها صاحب الحرب، وتُكْنى أُمّ الحرب.. قال العلامة المجلسي عليه الرحمة: الراية: العلم الكبير، واللواء: أصغر منها، قال في المصباح: لواء الجيش: علمه، وهو دون الراية. (بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ط2: 20/246).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً عليه السلام يوم بني قريظة بالراية، وكانت سوداء تُدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض (بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ط2: 20/246 حديث 12).

ويبدو أن الإمام الحسين (عليه السلام) جمع اللواء والراية للعباس عليه السلام كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، وسيتضح ذلك فيما يأتي من البحث.

[4] - الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية، ط3: 5/39، باب ما يوصي أمير المؤمنين عند القتال ح4.

[5] - الأمالي، الطوسي، دار الثقافة، قم، ط1: ص380.

[6] - إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، مؤسسة آل البيت، ط1: ص 373-374.

[7] - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية: 2/105-106 في ترجمة (حمزة بن عبد المطلب).

[8] - إعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي، مؤسسة آل البيت، ط1: ج1، ص376.

[9] - نفس المصدر السابق، وفيه: أن النبي صلى الله عليه وآله جمع لأمير المؤمنين الراية واللواء معاً

[10] - مقتل الحسين، أبو مخنف الأزدي، منشورات المرعشي، قم، 1398: ص179.

[11] - نفس المصدر السابق.

[12] - مثير الأحزان، ابن نما، الطبعة الحيدرية، النجف، ط 1950: ص32؛ ترجمة الإمام الحسين، ابن عساكر، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط2: ص315.

الهوامش

* مبلّغ ديني ومدرّس في الحوزة العلمية.

مصدر الأحكام

السيد علي السيد حسين يوسف مكي

السيد علي السيد حسين يوسف مكي*

الأحكام الشّرعيّة المجعولة من المشرّع الحكيم، تُؤخذ أصولُها (من) القرآن الكريم، (وممن) أَودع الله عندهم العلوم وهم النّبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) من بعده, فهما الحجّة في ذلك والأساس الأوّلي.

وقد أشار العلماء في المباحث الأصوليّة إلى أنّ الأدلّة على الأحكام أربعة:

القرآن. والسّنة. والإجماع. والعقل.

أما القرآن:

فحجّيته ثابتة ولا مجال للكلام فيها أبدًا، فهو الكتاب المُنزل على نبيّه المرسل (صلى الله عليه وآله). وهذا ثابت عقلاً: بإعجازه وأسلوبه البليغ الّذي لم يتمكّن أحد من تحدّيه ببلاغته وفصاحته وعلومه. ونقلاً: بالرّوايات المتواترة والعديدة الّتي تدلّ على استيعابه واشتماله على جميع ما يحتاج إليه الإنسان ووجوب الرّجوع إليه في كلّ الأحوال.

وأمّا السّنة:

وهي قول المعصوم أو فعله أو تقريره، فحجيتها أمرٌ أكيدٌ، ولا مجال للنّقاش فيها، إذ لولاها لما قام للإسلام أساسٌ وكيانٌ ودورٌ، ولما كان هناك مجالٌ للعمل بالقرآن وتطبيق أحكامه، فإنّ القرآن واردٌ لبيان أصل التّشريع والقواعد العامّة والأسس العّامة للتّشريع، ولم تَرد فيه تفاصيل الأحكام وبياناتها، قال تعالى: **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}**([1]).

ومجمل القول في حجيّة السّنة: أنّه بدون السنة لا يقومُ للإسلام ولا للمسلمين أمرٌ أبدًا, وما عليه المسلمون من وضوح أمر دينهم في احتوائه لجميع أمور الحياة والشّؤون والاعتبارات ما هو إلا بالسّنة الّتي هي تبيان وشرح للقرآن وأحكامه, وتفصيلٌ وبيانٌ للشّريعة الإلهيّة في كلّ أحكامها ومقرّراتها, وهي أيضًا وحيٌ من الله سبحانه للنّبي (صلى الله عليه وآله)، والأئمّة (عليهم السلام) أخذوا من النّبي (صلى الله عليه وآله) كما نصّ على ذلك الكثير من الرّوايات والّتي منها حديث الثّقلين وغيره من الأحاديث الّتي توجب الرّجوع إلى النّبي وأهل البيت (عليهم السلام) تأكيدًا لدور السّنة وأهميّتها في التّشريع الإلهي.

أمّا الإجماع:

والّذي هو اتّفاق العلماء على أمرٍ لم يرد فيه قرآن ولا سنّة، فهو إنّما يكون حجّة على الحكم ودليلاً عليه في صورة ما إذا كان مشتملاً على الإقرار من المعصوم (عليه السلام)، إمّا لوجود المعصوم بين العلماء المُجمعين, أو لاستكشاف موافقته ورضاه على الحكم.

هذا المعنى يجعل له الحجيّة والدليليّة لحصول القطع بمدلوله، فإن تمّ فذاك، وإلا لم يكن حجّة، هذا إذا كان الإجماع محصّلاً، وأما إذا كان إجماعًا منقولاً، فالإجماع المنقول ليس بحجّة.

وقد يكون الإجماع مدركيًا، بأن يكون الاتّفاق من العلماء والإجماع منهم على المستند للحكم من آية أو رواية، وهذا ليس بحجّة لأنّ المتّبع فيه هو المدرك والدليل لا الاتّفاق.

دليل العقل:

من المتّفق عليه بين العلماء والفقهاء: أنّ العقل من الأدلّة على الأحكام, وقد يتصوّر البعض أنّ معنى هذا أن العقل له صلاحيّة التّشريع والحكم.

والواقع أنّ العقل، وهو أعلى الكمالات في الإنسان، وهو بالغ الأهمّية في مجالات العلوم والعقلانيّات وإدراكها، ولكّنه مع ذلك ليس له صلاحيّة التّشريع في قبال الله سبحانه وتعالى، ولم يدّع أحد من المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم ذلك أبدًا، لأنّ التّشريعَ وإصدارَ الأحكام والتّكاليفَ وإقرارَها، هو لله سبحانه بشكل مطلق, ووظيفة العقل هي الإدراك وتعقّل وتفهّم أنّ هذا الشّيء حسنٌ أو قبيح, وإدراك الملازمة بين حكم العقل المستقلّ وحكم الشّرع، بمعنى أنّ كلّ ما حكم به العقل يحكم به الشّرع، وغير ذلك من المسائل.

إذا حكم الشّرع بشيء، فهل العقل يحكم بما حكم به الشّرع؟

وهذه المسألة من المهمّات أيضًا، والذي يقال فيها: إنّه لا مجال هنا للقطع بالملازمة، وإن قطعنا بأن ما يحكم به العقل ويدرك ملاكه لا بد أن يحكم به الشرع.

لأن العقل وإن أدرك إجمالاً وحكم مستقلاً بأن الله تعالى لا يأمر بشيء ولا ينهى عن شيء جزافًا وعبثًا، وأنه تعالى إنما يحكم تبعًا لمصلحة أو مفسدة غالبةٍ تقتضي تعلق إرادته بالشيء فيأمر به، أو تقتضي تعلق الكراهة به فينهى عنه كما عليه العدلية. إلا أن العقل مع ذلك عاجز عن إدراك تمام ما بَنَى عليه المشرّع أحكامه من المصالح والمفاسد لقصوره عن ذلك تفصيلاً، لأجل عجز العقل وقصوره عن إدراك جميع الجهات المحسّنة والمقبّحة في الأفعال، ولذلك قد يكون ما يدركه العقل من المصالح والمفاسد في بعض الموارد غير ما هو المصلحة الحقيقيّة والمفسدة الحقيقيّة للحكم عند الشارع.

وبالجملة: ما لم ينكشف للعقل وجه الحكم تفصيلاً، أي ما لم يدرك جميع جهات الحسن والقبح، لا يحكم، بل يتوقّف.

ومن هنا يظهر أنه ليس كل ما حكم به الشرع يلزم أن يحكم به العقل ويدرك جهته تفصيلاً، بل غاية ما يدركه هو أن حكم الشارع تابع لمصلحة أو مفسدة في الفعل على نحو الإجمال، ولذلك ترى توقّف العقل أحيانًا عند بعض الأحكام واستغرابه منها، وذلك لقصوره عن إدراك المصلحة والمفسدة فيها، كما في الدّيّات حيث ورد عن أبان بن تغلب أنه قال:

(قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما تقول في رجل قطع إصبعًا من أصابع المرأة، كم فيها؟

قال: عشرة من الإبل. قلت: قطع اثنتين؟ قال: عشرون. قلت: قطع ثلاثًا؟ قال: ثلاثون. قلت: قطع أربعًا؟ قال: عشرون.

قلت: سبحان الله يقطع ثلاثًا فيكون عليه ثلاثون، ويقطع أربعًا فيكون عليه عشرون؟! إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق فنبرأ ممن قاله ونقول: الذي جاء به شيطان!

فقال: مهلا يا أبان، هذا حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إن المرأة تعاقل الرجل إلى ثلث الدية، فإذا بلغت الثلث رجعت إلى النصف([2])، يا أبان إنك أخذتني بالقياس، والسنة إذا قيست محق الدين)([3]).

فلا يمكن إثبات أنّ العقل يحكم دائمًا ويحيط بملاك ما حكم به الشّرع, نعم يحكم بوجوب الطّاعة للمولى والانقياد له وضرورة دفع الضرر المحتمل أو الضرر المتيقن ونحو ذلك.

وما ذكرتُ هذا الموضوع إلا للتّأكيد، ولبيان دور العقل في الأحكام، وأنّه ليس له حقّ التّشريع، ولرفع الالتباس لدى الكثير من النّاس الّذين يحاولون أن يستعملوا أو يُدخلوا عقولهم في موضوع الأحكام الشّرعيّة أو مناقشتها، والله العالم.

الخلاصة:

وقد اتضح مما ذكرنا: أن المرجع للأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية أمران:

(الأول): القرآن. (والثاني): السنّة، والسنّة كما أوضحنا، هي قول المعصوم أو فعله أو تقريره.

فالحاصل: أنه لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم، والى أهل البيت (عليهم السلام).

وفي زمن غيبة الإمام (عجّل الله فرجه الشريف)، لا بدّ من الرجوع إلى العلماء الأعلام الذين يتميّزون بالورع والتقوى والعدالة، والاجتهاد، والمسلّم اجتهادهم، لأنه ليس كل من ادّعى الاجتهاد مُسّلم له اجتهاده، وليس كل من وقف خطيبًا وأجاد الكلام كان عالمًا ومرجعًا وصار من أهل الفتوى، فإن هذا الأمر من أخطر الأمور وأهمّ الأمور

التي يجب أن لا يتساهل فيها أهل العلم والدين، ولذلك يوجد هناك جماعات من أهل الخبرة يميّزون الشخص إن كان مجتهدًا أم لا، ولا ينبغي أن يُسَوَّقَ هذا المعنى حسب الأهواء والمصالح أو الدّعاية أو بذل الأموال أو غير ذلك، كما هو شائع في زماننا هذا.

حال الناس في زمن الغيبة:

بالنسبة للأحكام الشرعية وتحصيلها والعمل بها ينقسم المكلّفون بالأحكام إلى ثلاثة أقسام:

1- مجتهد

2- محتاط

3- مقلّد

المجتهد: وهو الذي يملك القدرة العلمية والمَلَكَة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية التي هي القرآن والسنّة والإجماع والعقل، والقواعد الأخرى.

فمن توفّرت لديه القدرة على تحصيل الأحكام بنفسه كذلك يسمّى مجتهدًا، وتحقّ له الفتوى والصلاحيات الأخرى المنوطة به.

المحتاط: وهو الذي لا يملك القدرة العلمية على استنباط الأحكام، أو يتمكّن من ذلك ولكنه لا يريد تحمّل هذه المسؤولية، فيعمل بأقوال العلماء المجتهدين الذين يتردد التقليد بينهم، بأن يطّلع في المسألة الواحدة على أقوالهم فيها ثم يأخذ بأحوطها، أو يعمل بما اتفقوا عليه، أو يكرّر العمل إذا اختلفوا، حتى يطمئن ببراءة الذمّة، وهذا النوع من الاحتياط مرجعه إلى الاحتياط في التقليد، وهو سهل بالقياس إلى نوع آخر من الاحتياط، وهو الذي يعمد المكلف فيه إلى الجمع في مقام العمل بين جميع محتملات النصوص والأقوال بل والقواعد، فإن هذه الطريقة شاقّة لا تتيسر إلا للأوحديين من أهل العلم والفضل، المُجْهَدِين بالتتبع والاستقراء.

المقلّد: هو الذي لا يتمكّن من تحصيل الأحكام من طريق الاجتهاد، فيرجع إلى العالم المجتهد، الأعلم من العلماء، ويعمل بفتواه في كل المسائل الشرعية لعدم قدرته على استنباط الأحكام بنفسه.

وهذا التقسيم إنما لأجل تحصيل براءة الذّمة من التكليف الشرعي، والوصول إليه بنحو تتحقّق معه الطاعة المطلقة لله سبحانه وامتثال أوامره.

والهدف الأساسي لكل هذا هو انتظام الأمور وحفظ المصالح للعباد وإبعادهم عن الشرّ والفساد في مختلف أمورهم وتكاليفهم -العبادات والمعاملات-، وما يتعلق بالأموال والأفعال والأخلاق والاجتماعيات والاقتصاد والسياسة، مما فيه خير الناس وصلاحهم.

يتبع =

---

[1] - سورة النّحل من الآية44.

[2] - ومعنى قوله (عليه السلام): (تعاقل الرجل)، أن كل جناية كانت فيها دية شرعًا، فإن كانت الدية أقل من ثلث دية الرجل، فالمرأة تعاقله وتساويه فيها، وإن كانت الدية تعادل ثلث دية الرجل أو تزيد عليها، كان للمرأة نصفها، ومن هنا كانت دية المرأة الكاملة نصف دية الرجل.

[3] - وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت: 29/352، ب44 من أبواب ديات الأعضاء ح1.

.

تتمة مقال = مصدر الأحكام

باب الاجتهاد مفتوح

الاجتهاد: معناه بَذْلُ الجُهد واستعمال القدرة والامكانات على استخراج الأحكام واستنباطها من أدلّتها التّفصيليّة، الّتي هي القرآن والسنّة والإجماع والعقل -كما أسلفنا-.

وتكون هذه القدرة نتيجة العلم والمعرفة والإحاطة بهذه الأدلّة بشكل صحيح وواسع, ويجب أن يكون هذا الاجتهاد في إطار (القرآن) و(السنّة), أي ما ينطبق عليه القرآن والسنّة، لأن كلّ شيء مما يتعلّق بشؤون النّاس والحياة على اختلافها موجود في القرآن والسّنة:

قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}([1]).

وفي الحديث الشّريف: (إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء، حتّى -واللهِ- ما ترك شيئًا يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا أنزل في القرآن, إلا وقد أنزله الله فيه)([2]).

وورد في الحديث أيضًا: (إن القرآن حيّ لم يمت، وإنّه يجري كما يجرى الليل والنّهار، وكما يجري الشّمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا)([3]).

وأمّا السّنة: فالرّوايات كثيرة جدًا في تأكيد دورها والأخذ بها, وأنّ كلّ شيء موجود في الكتاب والسّنة, وضرورة الرّجوع إلى النّبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام) والأخذ منهم، لأنّهم المُستَخْلَفون للقيام بحفظ الدّين ونشره وتأكيده في قلوب ونفوس النّاس.

والسّنة في واقعها وحيٌ من الله سبحانه، وشارحة للقرآن الكريم، وبيان تفصيليّ لما جاء فيه من أحكام وتكاليف وبيانات, لأن القرآن وظيفته بيان العمومات من الأحكام، وتفصيلها يكون في السّنة, وكما ورد في الحديث الشّريف: (آيات القرآن خزائنٌ، فكلّما فتحت خزينة ينبغي أن تنظر فيها)([4]). والمقصود بالنّظر هنا: التّأمّل والتّدبر بما تعطيه من معانٍ وأحكام وبيانات واسعة.

ولذلك لا بدّ من الرّجوع إلى النّبي (صلى الله عليه وآله) في أمور القرآن وشؤونه ومعانيه وشرحه وتفسيره, لأنّ الله سبحانه أودع علوم القرآن وكافّة ما فيه عنده (صلى الله عليه وآله), والنّبي (صلى الله عليه وآله) أودع هذه العلوم عند الأئمّة الطّاهرين (عليهم السلام)، فهم المرجع في ذلك، وهذا ما ينصّ عليه حديث الثّقلين، فضلاً عن الأحاديث الأخرى الّتي تؤكّد أنّ ما لديهم من علوم أخذوها من النّبي (صلى الله عليه وآله).

فإدراك الواقع القرآني وكونه تبيانًا لكلّ شيء ليس بمقدور كلّ أحد من النّاس، مهما بلغ من العلم والكمال العقلي والفكري، ولا هو تحت إرادته، وإنّما يُطْلَب منّا بذل الجهد لذلك، مستعينين بما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام)، لأنّ القرآن كلام الله سبحانه ومراداته، وفيه أسراره، جعل بعضها في متناول النّاس حتّى لا يكونوا بعيدين عن القرآن، وجعل البعض الآخر لا يُدرك بسهولة ولا بدّ فيه من الرّجوع للنّبي (صلى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم السلام) ومَن عنده علم الكتاب، صيانةً له من العبث والاجتهادات الخاطئة, وللأسرار والعلوم الّتي يشتمل عليها، ممّا لا تجد مجالاً لفهمها إلا عن طريق أهل البيت (عليهم السلام)، لأنّهم الأعرف بها والأبواب إليها بتعليم من النّبي (صلى الله عليه وآله).

وهكذا يبقى القرآن الوسيلة لارتباط النّاس مع الله والنّبي (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)، ويبقى أهل البيت (عليهم السلام) الوسيلة لحفظ الدّين وحفظ القرآن سالمًا من التّحريف والتّزييف والزّيادة والنّقصان والاجتهادات الباطلة الّتي تكثر في هذا الزّمان, من السنّة والشيعة بدون مجاملة ولا محاباة، ورفع الخلاف بين المسلمين في مختلف أمورهم عبر القرآن، ولا يُرفع الخلاف إلا بالرّجوع لمن يعرف أسرارَه وعلومه وأسرارَ التّشريع وأصوله، ولا أحد يعرف كلّ هذا سوى أهل البيت (عليهم السلام) الّذين أخذوا وتعلّموا على يد النّبي (صلى الله عليه وآله).

ناحية مهمّة

ومن الضّروري ونحن نؤكّد على دور السّنة في التّشريع الإسلامي وفي تفصيل وبيان الآيات الكريمة الّتي أشارت إلى ذلك، أن نذكر ناحية مهمّة:

وهي أنّ السّنة الشّريفة الّتي هي قول المعصوم أو فعله أو تقريره.. هي وحيٌ من الله سبحانه وتعالى كما أشرنا، وليست اجتهادًا من النّبي (صلى الله عليه وآله).

فما ورد على لسان النّبي (صلى الله عليه وآله) من تّفصيلاتٍ لآيات القرآن الكريم وأحكامه والكيفيّات الّتي تمارس بها العبادات وغيرها، كلّه بوحي من الله، قال الله تعالى: **{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}**([5]).

مثلاً: أَمَرَ المولى سبحانه بالصّلاة فقال تعالى:**{أَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ}**([6])، ولم يحدّد في القرآن كيفيّة الصّلاة بشكل مفصّل، وكذلك لم يحدّد أمور الزّكاة والمقدار الّذي يجب دفعه.

ولكنّ بيان الكيفيّة للصّلاة جاء على لسان النّبي (صلى الله عليه وآله), من اعتبار النية والقُربة فيها, ومن اعتبار أنّ التّكبير ابتداءُ الصّلاة, ثمّ القراءة، ثمّ الرّكوع، ثمّ السّجود، والتّشهّد، وغيرها ممّا يعتبر من الأجزاء والشّرائط، كلّه كان من النّبي (صلى الله عليه وآله)، والنّبي أوضحه وبيّنه بأمر من الله سبحانه, وكذلك ما يعتبر قَبل الصلاة من الوضوء ومن السّتر حال الصّلاة، والاستقبال، واعتبار دخول الوقت للصّلاة، كلّه بيانه وتفصيله كان من الله سبحانه بوحي للنّبي (صلى الله عليه وآله).

وهكذا الحال في الزّكاة والصّيام والحج وغيرها من الفرائض والواجبات، لأن العبادات -كما ورد- أمور توقيفيّة، أي يتوقّف بياناتها وتفصيلاتها وتحديدها على الشارع المقدّس، وليس للعباد دخل فيها.

ومن هنا نؤكّد أنه ليس كل ما يراه الإنسان عبادةً يكون عبادةً، فالله يريد أن يُعبد كما يشاء هو لا كما يشاء العبد.

ومن هنا نجد أن العبادات المقرّرة في الشريعة تنسجم تمامًا مع الواقع الإيماني والرّوحي عند الإنسان، وتلبّي تطلّعاته وحاجاته الرّوحية والأخلاقية، فالعبادة كما تكون بالتأمل والتفكّر، تكون أيضًا بالفعل والعمل وبالقول أيضًا، وكما يُشرف العقل والتفكّر والتأمل على تهذيب النفس والباطن وتصحيح السلوك، كذلك الفعل والعمل والقول يعمل أيضًا على تنزيه القلب والنفس والرّوح مما يجعل العابد متمحّضًا في ذاته لله سبحانه وتعالى.

فالعبادة الصحيحة التي ترتقي بالإنسان إلى مراتب الإخلاص والكمال، هي ما كانت على النّهج المأمور به من الله سبحانه وتعالى، سواء في حالات التأمل والتفكّر، أو في القول والعمل وغيرها، وما أراده الله سبحانه أوضحه على لسان نبيّه الكريم (صلى الله عليه وآله)، والنبي (صلى الله عليه وآله) علّمه وأعطاه للأئمة الأطهار الذين هم الامتداد الطبيعي للنبي (صلى الله عليه وآله)، ولم يحجب عنهم شيئًا من العلوم التي فيها الخير والصلاح للعباد في مختلف شؤونهم، وأمورهم، بما يتعلّق بالدنيا والآخرة.

عود على بدء

فدور المجتهد في أحكام الشريعة إنما يكون ويصح إذا كان في إطار القرآن والسنّة، ويكون في استخراج واستنباط الأحكام منهما بتطبيق القواعد العامّة الكليّة المعتبرة على القضايا الجزئية الفرعية الخارجية التي يحتاج إليها الناس، والتي هي مورد ابتلائهم واهتمامهم، وكذلك الحال فيما يتعلق بالمعاملات وما يُشترط فيها،

يكون بإمضاء من النبي (صلى الله عليه وآله) واعتبارًا منه لها، ويُصيِّرُ هذا الإمضاءُ والاعتبارُ أحكامَ المعاملات كلها أحكامًا واقعيّة ومرادة للمشرّع الحكيم، هذا مضافًا إلى النصوص الصريحة والواضحة في المعاملات، فهي أيضًا من السّنة وبوحي من الله سبحانه.

أهمية الاجتهاد

لا يقتصر دور المجتهد على استنباط الأحكام الشرعية الإلهية من القرآن والسنّة وغيرها من الأدلة المعتمدة في الاستنباط، فإن ذلك وإن كان مهمّا جدًا وضروريًا في الحياة الإنسانية، إلا أنه -مضافًا لذلك- له دور كبير في تحقيق الأهداف الإنسانية والإصلاح والتنظيم والحفظ للشؤون العامة والخاصة، التي هي الأساس في تطوّر الحياة وتناميها، لأن الإسلام لمّا كان هو الدين الخاتم ولا دينَ بعده أبدًا إلى يوم القيامة، فلا بدّ أن يُلبّي متطلبات وتطلعات البشرية والإنسانية في جميع مراحل وجودها، ولا بدّ أن يؤمّن لها جميع الاحتياجات التي فيها الخير والصلاح والنظام، ووضع كل جديد يتجدّد في حياة الإنسان في إطار التشريع الإسلامي، كما هو الحال والشأن في الأمور المتجدّدة في عصرنا الحاضر، والتي لم تكن موجودة فيما سبق، وكذلك استيعاب ما هو محتمل الوجود في المستقبل، باعتباره الدين الخالد والخاتم إلى يوم القيامة.

من هنا نفهم ونُدرك أهمية الاجتهاد وضرورته في الحياة الإنسانية، خصوصًا بعد زمان الغيبة، غيبة الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف)، كل ذلك لتقويم أمور الحياة وإبعادها عن حالة الفوضى والاضطراب، ولاستمرار بقاء الدين فاعلاً في حياة الناس كأساس لا يُستغنى عنه في حال من الأحوال.

فالإنسان مع الاجتهاد، دائمًا وأبدًا في حالِ تطوّر وفي حالةِ انتظام، وفي وضع لا يشعر معه بالبُعد عن الواقع الإنساني والحياة الفاضلة الكريمة الملائمة له، وهو في إطار التشريع والإسلام، أي منطلقاته كلها من الواقع الإيماني والشرعي الذي يريده ويقرّه الإسلام.

ولكن: أولاً: -وكما أسلفنا- يجب أن يكون هذا الاجتهاد في إطار القرآن والسنّة، ولا يكون غير ذلك، وإلا كان اجتهادًا في مقابل النصّ، وتشريعًا محضًا في قبال الله سبحانه، لأنه كما أسلفنا ما من شيء إلا وله أساس في القرآن والسنّة، وإلا كان بدعةً، (وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)([7]).

وثانيًا: لا يمكن اعتمادُ قواعدَ وأُسسٍ ومصادرَ التشريع إلا ما كان في إطار الكتاب والسنة أيضًا ويؤدي إلى الحكم الموافق لهما، وإلا فيُضرب به عرض الجدار.

وشيء ثالث: وهو مهم جدًا، أن يكون المجتهد في وضعٍ أخلاقيٍّ وروحيٍّ خاصّ، من حيث الإيمان والاعتدال الأخلاقي والسلوكي والورع والتقوى، والخشية من الله سبحانه **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}**([8])، وأن يكون في أعلى مراتب العدالة، هذا المعنى ضروري لأنه يجعل المجتهد في وضعٍ لا يُغلب للأهواء والاجتهادات

الشخصية والباطلة.

ثم إن الحكم الذي يستخرجه ويستنبطه المجتهد من القرآن والسنّة، يسمّى بـ"الحكم الظاهري"، لأنه إنما يؤخذ به لقيام الدليل على اعتباره، وعدم إمكانية الوصول إلى الحكم الواقعي الأولي.

وأما إذا كنّا قادرين على الحكم الإلهي الواقعي كما لو كان الحكم ضروريًا أو بديهيًا، فلا حاجة للاجتهاد أبدًا، بل لا يصحّ الاجتهاد في قبال الواقع المعلوم، وإنما يكون الاجتهاد مع الجهل بالواقع وعدم الوصول إليه لأجل معرفة الوظيفة العملية الظاهرية التي تستوجب براءة الذمة أمام الله سبحانه.

يتبع =

---

[1] - سورة النحل من الآية 89.

[2] - أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران ط1: ج1 ص 59، باب الرد إلى الكتاب والسنّة ح1.

[3] - بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ط2: ج35 ص404، باب 20 أن القرآن حيٌّ لا يموت ح21.

[4] - بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ط2: 89/216، باب آداب القراءة ح22.

[5] - سورة النّجم الآية 3- 4.

[6] - سورة البقرة من الآية43، ووردت أيضًا في غيرها من السّور.

[7] - بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، ط2: 10/355 ب20 ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون ح1، وورد بلفظ قريب منه في روايات أخرى، راجع مثلاً ج2 ص263 ب32 البدعة والسنة.. ح21.

[8] - سورة فاطر من الآية 28.

.

تتمة مقال = مصدر الأحكام

أمران مهمّان في هذا المقام

ثم إنه بعد هذا البيان الذي ذكرناه حول الاجتهاد، ومن هو المجتهد، لا بدّ من الإشارة إلى أمرين مهمّين في هذا المقام:

الأمر الأول: كيف يقوم المجتهد بعملية الاجتهاد:

يتصوّر البعض من الناس، أو أغلب الناس: أن المجتهد له الحقّ في إصدار الفتوى والحكم حسب مقامه ومنزلته بين الناس، وحسب ما يراه هذا المجتهد انسجامًا مع الظروف والوقائع المحيطة به، طابقَ القرآن والسنة أو لم يطابقهما.

ولا شك أن هذه نظرة خاطئة، وتصوّر خطير، وهذا المعنى هو الذي منعت منه الأخبار، حيث تضمنت المنع من استعمال الرأي والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان وغيرها، أي إن الفقيه إذا لم يجد الحكمَ في الكتاب والسنة لا يحقّ له أن يلجأ إلى اجتهاده الشخصي.

فالأمر ليس كما يتصور، إذ الوقائع المحيطة بالإنسان والظروف التي يعيشها، وإن كان يُنظر إليها بعين الاعتبار، إلا أن عملية الاجتهاد تتبع أُسسًا وقواعد لا بد من مراعاتها:

فلا بد أولاً من الاطلاع والمعرفة بعلوم القرآن وأحكامه.

وكذلك المعرفة بأمور السنّة والاطلاع الكامل على الروايات والأخبار الواردة في المقام، والنظر في شؤونها من حيث الظهور في المعنى، والظهور في العموم أو الإطلاق أو غيرهما، وعدم التعارض والتنافي بين الروايات، وأن يكون فيها بيان كامل في المعنى المراد، بأن تكون الإرادة جدّية له، أي ليست واردة في مقام التقية ونحوها.

وكذلك لا بد من توفّر العلم والمعرفة التامة والواسعة بالأسس والقواعد الأصولية وغيرها المعتمدة في الاجتهاد.

وعندئذ بعد أن تتكامل هذه الأمور، يقوم الفقيه بتطبيق تلك "القواعد" -المستفادة من القرآن والسنّة والتي تؤكّد دورهما- على الواقعة ويعطيها الحكم الملائم.

وأضرب مثالاً لذلك، ويتضمن عدّة أسئلة:

السؤال الأول: هل تجب قراءة الفاتحة مع السورة في الصلاة، أم يُكتفي بالفاتحة؟

والجواب: أن الفقيه يَعْمَدَ إلى القرآن والسنة، والنظر إلى ما ورد فيها حول ذلك:

ففي القرآن يقول الله سبحانه**{فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}**([1])، وهي بإطلاقها تشمل حال الصلاة وغيرها، مما يؤكّد أصل وجوب القراءة فقط من دون نظر إلى خصوصية كونها في الصلاة أو في غيرها.

ثم ينظر في السنّة، فيجد الروايات المعتبرة التي تقول بوجوب قراءة الفاتحة، مثل قوله: (عليه السلام) (لا صلاة له إلا أن يقرأ بها)([2]) أي بفاتحة الكتاب، وغيرها من الروايات، ثم يجد في الروايات أيضًا ما يدل على وجوب قراءة سورة بعد الفاتحة، وأن الاكتفاء بالفاتحة وحدها لا يكون إلا في حال الضرورة، من ضيق الوقت أو نسيان السورة أو غيرها.

فيخرج بنتيجة وهي: أنه لا بد من قراءة الفاتحة والسورة في حال الصلاة في الركعة الأولى والركعة الثانية.

وسؤال آخر: لو كان عنده ماء وكان يعرف أنه طاهر، ثم شك في اليوم الثاني بعروض النجاسة عليه، فهل يحكم على هذا الماء بالطهارة أو يحكم عليه بالنجاسة؟

والجواب: أنه لدينا قاعدة عامة مستفادة من الروايات تسمى بالاستصحاب، وهي أن كل ما يَشُكُّ فيه المكلّف مما كان له حالة سابقة، يستطيع أن يستصحب تلك الحالة السابقة.

فيطبقها في المقام ويقول: هذا الماء بالأمس كان طاهرًا، والآن أشك في نجاسته، فأستصحب عدم النجاسة، وأبني على أنه لا يزال على ما كان عليه بالأمس من الطهارة للشك في عروض النجاسة، لأنه لا اعتبار بهذا الشك، إلا إذا زال الشك وحصل له العلم فحينئذٍ لا حاجة للاستصحاب، وهكذا...

فالحاصل: أن عملية الاجتهاد تتمّ:

(بين) النظريات والقواعد الأصولية المعتمدة للاستنباط.

(وبين) تطبيق تلك النظريات لاستفادة الحكم الشرعي واستخراجه.

فلا مجال في الاجتهاد للرأي الشخصيّ في الحكم، وإنما هو يبذل جهده وكل إمكاناته العلمية الموجودة لديه على ضوء القرآن والسنّة، لاستخراج الحكم الشرعي، وتسمّى بـ"ردّ الفروع إلى الأصول"، والأصول هي القرآن والسنة، والفروع هي الوقائع التي يطبّق عليها الحكم الشرعي.

تنبيه:

وبطبيعة الحال أن هذه الأمثلة تقريبية ليست هي كل شيء في الاجتهاد، فهناك من العمليات المعقّدة الصعبة في هذا المجال، مما يجعل الفقيه يحتاج إلى جهد كبير جدًا في استخراج الحكم.

الأمر الثاني: لماذا الخلاف بين العلماء.

من الأمور التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار بالنسبة للاجتهاد في تحصيل الأحكام الشرعية واستنباطها من أدلتها، وقوع "الاختلاف" بين المجتهدين في ذلك.

ومن هنا يمكن أن يقال: إذا كان حكم الله واحدًا فلماذا الاختلاف بين العلماء.

ويمكن أن يجاب عن مثل هذا التساؤل: بأن الاختلاف بين العلماء ليس في الحكم الإلهي الواقعي، وإنما الاختلاف في طريق الوصول إلى هذا الحكم الواقعي.

والاختلاف في الطريق أو في كيفية تحصيل النتائج والحكم، أمرٌ طبيعي يحصل بين العلماء، حتى من غير الفقهاء، فأصحاب الاختصاص في العلوم الأخرى كالأطباء والمهندسين والفيزيائيين والكيميائيين وغيرهم، هؤلاء أيضًا يقع بينهم الاختلاف في النتائج لواقعةٍ واحدةٍ ولأمرٍ واحدٍ، من جهة الاختلاف في الأسس والقواعد المعتمدة في هذه العلوم، وكيفية تطبيقها، فكلٌ له أسلوبه وطريقته، برغم أن الواقع واحد.

فليس غريبًا أن يحصل هذا الأمر بين أهل الاجتهاد من الفقهاء، خصوصًا وهم يبذلون قُصارى جهدهم في الوصول إلى الحكم المُبْرِئ للذمّة بين يدَي الله سبحانه، ويبذلون وُسعَهم في أن يكون هذا الحكم مطابقًا للحكم الإلهي الواقعي.

إذن فليس هناك خلاف أو اختلاف جذري أصلاً، وإنما هي المحاولة في الوصول إلى الواقع، ومن هنا كان ما ورد من القول بأن (من اجتهد وأصاب فله حسنتان، ومن اجتهد وأخطأ فله حسنة)([3])، تأكيدًا لهذه الحقيقة.

وكذلك تعريف الاجتهاد بأنه بذل الوُسع والجهد للوصول إلى الواقع، يؤكّد هذا المعنى، ويؤكد أن المجتهد يتحرّك مع الأدلة والأُسس التي هو مجتهد فيها، ورأيه يكون حجّة عليه، ومُلزم له بين يَدي الله سبحانه، بحيث يحاسبه الله إذا خالف رأيه وطريقته.

ومن هنا نقول إن الاختلاف بين الفقهاء يكون:

(1) نتيجة الفهم في النص، فإذا فهم أحدهم من النص معنى وفهم الثاني معنىً آخر، وكان كلٌّ منهما معتمدًا على حجة ودليل يؤيد ويؤكّد فهمَه، فلا يجوز له العمل بغير ما فهم، كما سنوضّح ذلك من خلال الأمثلة التي سنذكرها.

(2) يكون الاختلاف بين الفقهاء في طريقة التطبيق للقواعد.

(3) يكون الاختلاف نتيجة قبول النص وعدمه، خصوصًا وأن هناك وضعًا معيّنًا حول النصوص لدى الشيعة، تولّدَ نتيجة المواقف السلبية العدائية التي وَقَفَها خصومُ الشيعة في العهود الأولى، وبعدها، والاضطهاد غير المعقول وغير المبرّر وبمختلف الأساليب.

وكان من جملة المواقف السلبية: الدسّ في النصوص وتزويرها، والتقوّل على أهل البيت (عليهم السلام) بأقوالٍ لم تصدر عنهم، ولم تكن واردة عنهم أبدًا، في مجالات العقيدة والشريعة.

وقد ينتقد علينا البعض قولَنا عند دراسة بعض النصوص: (إنه وارد مورد التقيّة)، أو (يؤخذ بما خالف العامّة)، في مقام الترجيح للأخبار المتعارضة، ويقول المنتقد (قد مضى زمن التقية، فلماذا نقول بالتقية!!).

والجواب: أن ورود هذا الخبر كان من الأساس مراعىً به التقيّة، وواردًا في زمن التقية، فلا مجال لتغييره، ولذلك نأخذ بالخبر الآخر الذي صدر عن الإمام في غير هذا الحال، وهو ما كان مخالفًا للعامة.

هذه الأمور: هي من الأسباب الموجبة للاختلاف في مواقف الفقهاء في الحكم أو النتيجة.

فقد يرى فقيه أن هذا النص غير متكامل الحجيّة والدليلية، وقد يرى الثاني العكس، وقد يرى بعضهم أن موضوع الحكم ضيّقُ الأفق، وقد يرى بعضهم العكس، وهكذا...

فالاختلاف الذي يحصل، ليس لرأيٍ أو رغبةٍ شخصية، وإنما هو نتيجة للأسس والقواعد التي يعتمدها كل فقيه للاستدلال بها.

ولنعطِ أمثلة على ذلك:

قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ}([4]).

فقد وقع الاختلاف في قراءة **{يطهرن}** بالتشديد أي حتى يغتسلن، أو بالتخفيف أي حتى يحصل النّقاء من الحيض.

والاختلاف في جواز المواقعة للمرأة بعد الغسل، أو بعد النقاء من الحيض، إنما هو بسبب القراءة، فمن قرأ بالتشديد، أي بنى على التشديد، فلا يجوز -بنظره- المقاربة والمواقعة للمرأة إلا بعد الغسل، ومن قرأ بالتخفيف جاز له ذلك بعد النقاء من الحيض.

ومن ذلك الاختلاف في آية الوضوء:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ}([5])،

فإن الاختلاف الواقع بين السنّة والشيعة في كيفية الوضوء، هو نتيجة الخلاف في القراءة والإعراب في كلمة **{أرجلكم}**، فقد قُرئت بالجرّ والنصب، وأعربت تارة عطفًا على كلمة **{وُجُوهَكُمْ}** وأخرى على كلمة **{بِرُؤُوسِكُمْ}**.

فالحكم لدى السنّة هو غسل الأرجل على القراءتين: لأنهم جعلوا كلمة **{أَرْجُلَكُمْ}** معطوفة على **{وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ}**، أي اغسلوا وجوهَكم وأرجلَكم؛ أما على قراءة النصب فواضح، وأما على قراءة الجرّ فقد خرجّوه بأنه إنما جرّ بالمجاورة للمجرور.

أما الحكم لدى الشيعة فهو المسح على القراءتين وليس الغسل:

أما بقراءة الجر فواضح، إذ تكون الآية هكذا: **{وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ}**، فهي عطف على لفظ **{بِرُؤُوسِكُمْ}**.

وأما بقراءة النصب: فلأنها أيضًا معطوفة على **{بِرُؤُوسِكُمْ}**ولكنّه من العطف على المحلّ، فإن كلمة **{بِرُؤُوسِكُمْ}** في محلّ نصب إذ المعنى **{وَامْسَحُواْ رُؤُوسَكُمْ}**، وإنما أُتِيَ بالباء للدلالة على أن المسح ببعض الرأس لا تمامه كما في خبر زرارة عن أبي جعفر(عليه السلام)([6])، والعطف على المحلّ جائز في كلام العرب ومعروف.

بل ويمكن أن يكون من عطف جملة على جملة، أي (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَامْسَحُواْ أَرْجُلَكُمْ).

وعلى أي حال: فالشيعة يرون أن الحكم هو المسح، لأن كلمة (أرجلكم) معطوفة على الجملة القريبة أي قوله تعالى **{وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ}**، وليست معطوفة على الجملة السابقة وهي قوله تعالى **{فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ}**، وذلك لعدم جواز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة أجنبية، فإن ذلك لا يناسب الأديب فضلاً عن كلام الخالق الذي هو في أرقى درجات البلاغة والإعجاز.

والمحصّلة: أن اختلاف الفقهاء في القضايا الفقهية، لا يكون اختلافًا بدوافع شخصية أو آراء اعتباطية، وإنما هو اختلاف في فهم النصّ وفهم المقصود منه، واختلاف في اللغة والإعراب، أو اختلاف في أن هذا الحكم طرأ عليه نسخ أم لا، كما في موضوع المتعة، والاختلاف الواقع حولها بين السنة والشيعة حيث يقول الشيعة بجوازها واستمرار حليتها إلى يوم القيامة لأنه لم يرد نسخ لها على لسان النبي (صلى الله عليه وآله). وإخواننا السنّة يعتمدون الحرمة لأنهم يرون أن حكم الحلية منسوخ، وهذا هو الذي نناقش فيه، أعني نسخ الحلية، وقد بُيّنت كل المناقشات في حوارات واحتجاجات دوّنها الطرفان، فليراجع من يريد التوسّع في هذا الموضوع.

لا اختلاف في الضروريات والعقائد:

الاختلاف بين المجتهدين حصرًا يكون في غير الضروريّات واليقينيّات، مثل الصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واليقينيّات والضروريات: هي الأمور المعروفة والمشهورة بين المسلمين، ولا ينبغي أن ينكرها أو يناقش فيها أحد أبدًا.

ولذلك فمن أنكر "الصلاة" أو "الصوم" مع تصديقه للنبي (صلى الله عليه وآله) في كامل الأمور الأخرى، يكون كافرًا، لأنه منكر للضروري وهو الصلاة والصوم، وإنكاره إنما هو تكذيب للنبي (صلى الله عليه وآله)، لأنّا آمنّا بنبوّة محمد (صلى الله عليه وآله) وصدّقناه في كل شيء وفي كل ما أخبر به.

وكذلك لا تقليد في هذه الأمور أبدًا، أي في اليقينيّات والضروريات، وإنما الاختلاف والتقليد يكون في غيرها، أي في الشرائط أو فيما يعتبر زائدًا على هذه الأمور، ومما يدخله الشك في اعتباره.

كما أنه لا اختلاف ولا تقليد في العقائد الأساسية التي هي (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد-أي يوم القيامة-)، وإنما أصول الدين وكثير من المعتقدات تؤخذ من العقل، والعقل هو الذي يقرّرها ويجزم بها، والقرآن والسنّة يأتيان مؤيدين لما توصّل إليه العقل وأنه حقّ، بل حتى المعتقدات التي يكفي فيها الدليل النقلي، ويستدل عليها من القرآن والسنّة، لا يقلّد فيها أيضًا، وإنما يُرجع إلى أهل العلم والمعرفة في بيان الأدلة والآيات القرآنية والسنّة وإرشادهم إليها، مما يوجب الاطمئنان الكامل لديهم والمعرفة التامة فيما هو الحق.

وذلك مثل: معرفة عدد الأئمة (عليهم السلام)،ومثل أحوال البرزخ، وعوالم القبر، وعوالم الآخرة والجنة والنار، ومثل الرجعة، وغير ذلك كثير.

فإن الاعتماد على أقوال وأدلة العلماء في مثل هذه الأمور ليس من باب التقليد وإنما هو للاسترشاد بأقوالهم وأدلتهم على هذه الأمور واعتمادها من قِبل الآخرين.

انتهى المقال

---

[1] - سورة المزمل من الآية 20.

[2] - الوسائل (آل البيت): م6 ص37 ب1 من أبواب القراءة ح1.

[3] - عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، مطبعة سيد الشهداء، قم، طبعة أولى 1983: 0/62 حديث16، راجع مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت: ج4 ص198-204.

[4] - سورة البقرة من الآية 222.

[5] - سورة المائدة من الآية 6.

[6] - وسائل الشيعة، آل البيت: 1/411 ب23 من أبواب الوضوء، ح1، وهو قوله: (ألا تخبرني من أين علمت وقلت إن المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك (عليه السلام) فقال: يا زرارة قاله رسول الله ونزل به الكتاب من الله عز وجل) إلى أن قال: (فعرفنا حين قال: برؤوسكم، أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء.. الحديث).

الهوامش

* آية الله السيد علي مكي رئيس الطائفة الإسلامية الشيعية في سوريا.

الاستطاعة البذلية

الشيخ حسن رميتي

الشيخ حسن رميتي*

وقع الكلام في الاستطاعة البذلية، في أنه هل يستقر وجوب الحج على المكلف بمجرد البذل من غير قبول أو لا؟

ادَّعي الإجماع على وجوب الحج بالبذل، وفي المستند للنراقي (رحمه الله): "لو بذل له الزاد والراحلة ومؤونة عياله ذاهبًا وعائدًا، صار مستطيعًا مع استكمال باقي الشرائط، إجماعًا محققًا ومحكيًا عن صريح الخلاف والغنية وظاهر المنتهى والتذكرة..."([1])، ونحوه في كشف اللثام والجواهر.

ويدل عليه أيضًا النصوص الكثيرة:

منها: صحيحة ابن مسلم ورواية أبي بصير([2]).

ومنها: حسنة الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث: (قال: قلت له: فإن عرض عليه ما يحجّ به فاستحيى من ذلك، أهو ممن يستطيع إليه سبيلاً؟ قال: نعم، ما شأنه يستحيي؟ ولو يحج على حمار أجدع أبتر؟! فإن كان يستطيع أن يمشي بعضًا ويركب بعضًا فليحج)([3]).

ومنها: صحيح معاوية بن عمار: (قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): رجل لم يكن له مال فحجَّ به رجل من إخوانه، أيجزيه ذلك عن حجة الإسلام أم هي ناقصة؟ قال: بل هي حجة تامة)([4]).

وقد علَّق السيد الحكيم (رحمه الله) في المستمسك على هذا الصحيح بقوله: "إنه وإن دلَّ على الإجزاء لا يدل على الوجوب بالبذل، والإجزاء عن حجة الإسلام أعمّ من الوجوب"([5]).

ولكن هذا في غير محله، لأن الإجزاء يكشف عن الوجوب إذ لو لم يكن واجبًا لما أجزأ كما في حجّ المتسكّع، فإنه لا يجزي عن حجة الإسلام.

ومنها: صحيحه الآخر في حديث: قال: فإن كان دعاه قوم أن يحجّوه فاستحيى فلم يفعل، فإنه لا يسعه إلا أن يخرج ولو على حمار أجدع أبتر)([6]).

ومنها: صحيح أبي بصير: (قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل كان له مال فذهب، ثم عُرض عليه الحج فاستحيى؟ فقال: من عُرض عليه الحج فاستحيى -ولو على حمار أجدع مقطوع الذنب- فهو ممن يستطيع الحج([7]).

وكذا غيرها من الروايات الكثيرة.

إن قلت: إن كثيرًا من هذه الأخبار المتقدّمة لا يمكن الالتزام بمضمونها، إذ تدل على وجوب الحجّ بالبذل وإن كان فيه مشقة عظيمة ومهانة لا تُتحمل.

قلت: إن وجوب الحج مع المشقّة لأجل عدم قبوله البذل، فإنه يستقرّ عليه، وعليه الحج بعد ذلك ولو متسكّعًا، وليس المراد أنه يجب عليه الحج بعد العرض ولو على حمار أجدع أبتر، بحيث يكون فيه مهانة لنفسه. ويحتمل أيضًا أنه إذا بذل له حمار أجدع أبتر فاستحيى من الركوب عليه فليمشِ ويركبه إذا اضطر إلى ركوبه، ونحو ذلك من المحامل التي لا تنافي وجوب الحج معها.

ومما يدل على وجوب الحج بالبذل: الآية الشريفة **{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}**([8])، فإنّ المراد من الاستطاعة فيها القدرة على الحج والتمكّن منه بأي وسيلة، ومنها البذل.

ولكن الأخبار التي تعرّضت للآية الشريفة فَسَّرت الاستطاعة المعتبرة في الحج بالاستطاعة الخاصة، وهي أن يكون له زاد وراحلة، فإذا لم يكن مالكًا لهما فلا يجب عليه الحج، واستفيدت الملكية من كلمة (اللّام)، فإنها تدل على المُلك، وعليه فالآية الشريفة لا تشمل بذل الزاد والراحلة لأنه غير مالك لهما.

وفيه: أن بعض الأخبار المفسِّرة لها وإن اشتملت على ما ذكر، إلا أن بعض الأخبار الأخر المفسِّرة لها اشتملت على لفظ (يجد ما يحج به) أو (عنده ما يحج به)، وهذا يشمل البذل كما لا يخفى، وهذه الأخبار ليست متنافية كي يُجمع بينها، وإنما يكون التنافي بينها إذا كان بعضها إثباتًا والآخر نفيًا، كما في (أكرم العلماء) و(لا تكرم الفسَّاق منهم)، أو كان كل منهما مثبتًا مع وحدة الحكم كما في (أعتق رقبة) و(أعتق رقبة مؤمنة)، وأما إذا لم يكن الحكم واحدًا فلا تنافي كما في (أكرم العلماء) و(أكرم العالم العادل)، فلا موجب لحمل المطلق على المقيد، ومقامنا من هذا القبيل، فإن الحج قد يجب مع الاستطاعة الملكية، وقد يجب مع الاستطاعة البذلية.

والخلاصة: أن الحج يجب مع البذل بالإجماع والكتاب والسّنة، والأخبار التي تقدمت دلّت على الوجوب مطلقًا سواء أكان البذل على وجه التمليك أم لا، وسواء أكان الباذل موثوقًا به أم لا، كما لا فرق في البذل بين كونه واجبًا بنذر وشبهه أم لا، ولا بين بذل عين الزاد والراحلة وبين بذل أثمانهما.

اعتبار الوثوق بالوفاء بالبذل أو عدم الظن بالكذب:

هذا، واعتبر الشهيد في الدروس التمليك أو الوثوق، وظاهر عبارته الثانية عدم اشتراط ذلك بل يعتبر القبول. قال رحمه الله: "ويكفي البذل في الوجوب مع التمليك أو الوثوق به، وهل يستقرّ الوجوب بمجرد البذل من غير قبول؟ إشكال من ظاهر النقل وعدم وجوب تحصيل الشرط، ولو حجّ كذلك أو في نفقة غيره أجزأ، بخلاف ما لو تسكّع

فإنه لا يجزئ عندنا، وفيه دلالة على أن الإجزاء فرع الوجوب، فيقوى الوجوب بمجرد البذل لتحقّق الإجزاء، إلا أن يقال: الوجوب هنا بقبول البذل"([9]).

ولا يخفى أن كلاً منهما مدفوع بإطلاق الأخبار، ولا دليل على ما ذكره (رحمه الله)، وعليه فيستقرّ عليه الحج ولو لم يقبل، لأن الأخبار مطلقة من هذه الجهة.

وقد يقال: إن القبول اكتساب ولا يجب عليه لأنه شرط الوجوب فلا يجب تحصيله.

وفيه: ما ذكرناه من أن ظاهر الأخبار تحقّق وجوب الحج بمجرد البذل، فإذا تحقّق الوجوب وجب القبول، لأنه حينئذ شرط الواجب لا الوجوب ومن المعلوم أن شروط الواجب يجب تحصيلها.

وفي المدارك:" نعم لا يبعد اعتبار الوثوق بالباذل، لما في التكليف بالحج بمجرد البذل مع عدم الوثوق بالباذل من التعرّض للخطر على النفس، المستلزم للحرج العظيم والمشقّة الزائدة، فكان منفيًا"([10]).

وفي الجواهر: "نعم، قد يقال باعتبار الطمأنينة بالوفاء أو بعدم الظن بالكذب حذرًا من الضرر والخطر عليه، وللشك في شمول أدلة الوجوب له إن لم تكن ظاهرة في خلافه، بل لعل ذلك كذلك وإن وجب على الباذل.." ([11]).

وفي المستند للنراقي (رحمه الله): "هو الأصح، لعدم صدق الاستطاعة بدونه عرفا ولا لغة"([12]).

وفي الحدائق: "نعم لا يبعد - كما ذكر في المدارك - اعتبار الوثوق بالباذل"([13])، وفي الرياض: "ولا دليل على شيء من هذه عدا الأخير -أي ما ذكره صاحب المدارك - فيتوجّه دفعًا للعسر والحرج اللازمين لعدم الوثوق المنفيين إجماعًا كتابًا وسنة وفتوى وبها يقيّد إطلاق النصوص المتقدمة.."([14]).

وفيه: أنه إذا لزم العسر والحرج مع عدم الوثوق، فينتفي الوجوب حينئذ، إلا أن الكلام في الصغرى وفي ثبوت العسر والحرج مع عدم الوثوق، وحال الحج مع البذل كالحج بالاستطاعة المالية، فكما أنه إذا احتمل سرقة المال أو زوال الاستطاعة بمنع العدوّ له وما شابه ذلك فلا يسقط الوجوب، بل يستصحب بقاء الاستطاعة فكذلك هنا، فإذا احتمل عدم الاستمرار بالبذل فيستصحب بقاءه ولا يسقط الوجوب، فالوثوق بالبقاء في كل منهما غير معتبر، نعم مع الوثوق بالعدم يسقط الوجوب كما في الاستطاعة الملكية، فإذا كان واثقًا بوجود مانع يمنعه من الذهاب فلا يجب عليه الحج، وكذا سائر الموانع.

وبالجملة: فلا فرق بين الاستطاعة البذلية والملكية من هذه الجهة، والسيد الحكيم (رحمه الله) جعل محل النزاع في الوجوب الظاهري، وأما الوجوب الواقعي بتحقّق البذل واقعًا فلا ينبغي التأمل في عدم دخل الوثوق ولا العلم به، والنزاع إنما هو في الوجوب الظاهري بتحقّق البذل ظاهرًا.

وفيه: أن كلام الأعلام إنما هو في الوجوب الظاهري كما يظهر من كلماتهم، فالوجوب الواقعي خارج عن محطّ الأنظار، ومهما يكن فما ذكره (رحمه الله) جيد.

يتبع =

---

[1] - مستند الشيعة، المحقق النراقي، مؤسسة آل البيت، قم، ط1: 11/ 48.

[2] - وسائل الشيعة ب 8 من أبواب وجوب الحج وشرائطه، ح1، وب 11 منه ح2.

[3] - المصدر السابق ب 10، ح 5.

[4] - المصدر السابق ب10، ح 2.

[5] - مستمسك العروة، السيد محسن الحكيم، مكتبة المرعشي، قم، 10/125.

[6] - المصدر السابق ب10، ح3.

[7] - المصدر السابق ب 10، ح8.

[8] - آل عمران من الآية 97

[9] - الدروس، الشهيد الأول، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1: 1/310

[10] - مدارك الأحكام، السيد محمد العاملي، مؤسسة آل البيت، قم، ط1: 7/46.

[11] - جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفي، دار الكتب الإسلامية، قم، ط2: 17/266.

[12] - مستند الشيعة، المحقق النراقي، مؤسسة آل البيت، قم، ط1:11/49.

[13] - الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، جماعة المدرسين، قم: 14/101.

[14] - رياض المسائل (ط.ق)، السيد علي الطباطبائي، حجرية: 1/339.

[15] - تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، مؤسسة آل البيت، قم، ط1: 7/61.

[16] - نفس المصدر.

[17] - نفس المصدر.

[18] - الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، جماعة المدرسين، قم: 14/103.

[19] - مسالك الافهام - الشهيد الثاني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط1: 2/133.

.

تتمة مقال = الاستطاعة البذلية

في اعتبار التمليك في الوجوب:

ثم إن الشهيد في الدروس نقل عن ابن إدريس اشتراط التمليك في الوجوب، وجنح إليه الفاضل.

وعن ابن إدريس: "أن من يعرض عليه بعض إخوانه ما يحتاج إليه من مؤونة الطريق يجب عليه الحج بشرط أن يملّكه ما يبذل له ويعرض عليه، لا وعدًا بالقول دون الفعل" هذا ما نقله العلامة (رحمه) عنه في التذكرة([1]).

وفيه: أنه لا دليل عليه وإطلاق النصوص يدفعه، أضف إلى ذلك أن البذل مع عدم التمليك ربما كان معروفًا أكثر من البذل مع التمليك.

وقال العلامة رحمه الله: "إن التحقيق أن البحث هنا في أمرين:

الأول: - هل يجب على الباذل بالبذل الشيء المبذول أم لا؟ فإن قلنا بالوجوب أمكن وجوب الحج على المبذول له، لكن في إيجاب المبذول بالبذل إشكال، أقربه عدم الوجوب. وان قلنا بعدم وجوبه ففي إيجاب الحج إشكال أقربه العدم، لما فيه من تعليق الواجب بغير الواجب" ([2])، وهو ظاهر في عدم الوجوب بمجرد البذل.

وفيه: أولاً: أنه مخالف لإطلاق الأخبار.

وثانيًا: أن التعليق يمتنع إذا تجرّد وجوب الحج عن شرط استمرار البذل ولم نقل بسقوط الوجوب إذا رجع الباذل عن بذله، وأما إذا قلنا إن وجوب الحج مشروط باستمرار البذل، فلا يرد الإشكال حينئذ، وحاله كوجوب الحج مع الاستطاعة الملكية، فإن الوجوب مراعىً ببقائها إلى آخر الأعمال فإذا زالت انتفى الوجوب، فكذا الحال في الاستطاعة البذلية.

ثم قال العلامة رحمه الله: "الثاني: هل بين بذل المال وبذل الزاد والراحلة ومؤنته ومؤنة عياله فرق أم لا؟ الأقرب عدم الفرق لعدم جريان العادة بالمسامحة في بذل الزاد والراحلة والمؤن بغير منّة كالمال" ([3]).

وفَهِم صاحب المدارك رحمه الله وكذا الفاضل الهندي من هذا الكلام أنه لا فرق في وجوب الحج بالبذل بين بذل الزاد والراحلة وبين بذل الأثمان، ولكن صاحب الحدائق (رحمه الله) فَهِم العكس من ذلك، قال: "وهو - كما ترى - ظاهر في أن المراد إنما هو عدم الفرق بينهما في أنه لا تحصل الاستطاعة بهما، لأنه ذكر في الفرع الأول - كما

نقلناه - عدم وجوب قبول المال إذا بذل له لاشتماله على المنة... إلى آخر ما تقدّم، وهنا قد ألحق به عين الزاد والراحلة لو بذل له وجعل حكمه حكم المال في عدم وجوب قبوله، لاشتماله على المنّة لأنه لم تجر العادة بالمسامحة به. والسيد (رحمه الله) قد توهّم العكس في وجوب القبول في الموضعين وحصول الاستطاعة، وهي غفلة فاحشة. وبالجملة فإن مرجع كلام العلامة هنا إلى موافقة ابن إدريس في أنه لا يكفي مجرد البذل - للعين كان أو للثمن - بل لا بد من التمليك..

والظاهر أن شيخنا الشهيد في الدروس إنما نسب إليه القول بما ذهب إليه ابن إدريس من كلامه هنا وإلا فكلامه في سائر كتبه خال من ذلك"([4]).

أقول: التأمّل في كلام العلامة (رحمه الله) يفضي إلى أن الأقرب إلى الواقع ما فهمه صاحب الحدائق (رحمه الله)، حيث علّل العلامة في الفرع عدم الوجوب لاشتمال القبول على المنّة، وهنا - أي في الأمر الثاني - شبّهه بذلك فلاحظ.

قال الشهيد الثاني (رحمه الله) في المسالك: "نعم، يشترط بذل عين الزاد والراحلة، فلو بذل له أثمانهما لم يجب القبول، وكذا لو نذر لمن يحج وأطلق ثم بذله لمعين أو أوصى بمال لمن يحج ثم بذله كذلك، لأن ذلك يتوقف على القبول، وهو شرط للواجب المشروط، فلا يجب تحصيله"([5]).

ويرد عليه: أن ظاهر الأخبار المتقدّمة صدق العرض والبذل على بذل الأثمان كصدقها على بذل عين الزاد والراحلة، وبه يتحقّق الوجوب فيجب كل ما يتوقف عليه الحج ومنه القبول، لأنه بذلك شرط للواجب وهو فعل الحج لا الوجوب كي يقال لا يجب تحصيله.

وبالجملة: إن إطلاق الروايات ينفي كلّ هذه القيود، فلا يعتبر شيء منها، فبمجرد البذل يجب عليه الحج إلا إذا وثق بالعدم كما تقدم.

بقي الكلام في أمور:

الأمر الأول: لا فرق بين بذل الكل إذا لم يكن عنده شيء وبين بذل البعض إذا كان عنده بعض النفقة لإطلاق الأدلة، فإن العرض كما يصدق على الكل يصدق على البعض إذا كان عنده البعض الآخر، وفي المدارك: "لأنه ببذل الجميع مع عدم تمكّنه من شيء أصلاً يجب عليه، فمع تمكّنه من البعض يكون الوجوب أولى"([6]) وكذا في الجواهر.

الأمر الثاني: أن الظاهر من البذل والعرض هو بذل النفقة في الذهاب والإياب، فلو بذل له للذهاب فقط فلا يجب عليه الحج إذا أراد الرجوع إلى بلده، فالشخص الذي يريد أن يرجع إلى بلده بعد الحج ولا يريد البقاء في مكة إذا بذل له النفقة للذهاب فقط فلا يصدق عليه أنه عُرض عليه الحج.

الأمر الثالث: إذا بذل للشخص نفقة ذهابًا وإيابًا ولم يبذل لعياله إذا لم يكن عندهم ما يكفيهم فهل يجب عليه الحج أم لا؟

أقول: إن نصوص البذل مطلقة من هذه الجهة، فإن مفادها وجوب الحج عليه بعد العرض وإن لم يبذل لعياله، نعم بعد فرض وجوب الإنفاق عليهم يتزاحم مع وجوب الحجّ فيقدّم الأهم منهما، إلا إذا كان معسرًا ولا يستطيع الإنفاق عليهم حتى لو كان في الحضر، ففي هذه الصورة يجب عليه الحج بلا إشكال، ولذا قال في الجواهر: "بل إن لم يقم إجماع على اعتبار بذل مؤونة العيال في الوجوب أمكن منعه في المعسر عنها حضرًا للإطلاق المزبور، وليس المبذول من أملاكه المطلقة له كي يجب عليه إعطاء ما يلزمه منه"([7])، ثم إن ما ذكرناه إنما هو في العيال الواجبي النفقة عليه، وأمّا إذا كانوا عيالاً عليه ولكنهم غير واجبي النفقة فلا تزاحم حينئذ إلا إذا كان ترك الإنفاق حرجيًا عليه فيسقط الوجوب حينئذ.

فرع: في حكم ما لو وهبه الزاد والراحلة، وهنا صورتان:

الأولى: أن يهبه ويشترط في الهبة الحج، كأن يقول له: وهبتك هذا المال للحج أو لتحج به.

الثانية: أن يطلق ولا يقيّدها بالحج.

أما الصورة الأولى:

ففيها قولان. ذهب الشهيد في الدروس إلى عدم وجوب القبول ثم تنظَّر في الفرق من جهة صدق العرض على كل من البذل والهبة للحج، ومن ناحية أخرى بأن القبول نوع من الاكتساب فلا يجب.

وفي الرياض:" ولو قيد بشرط أن تصرفه في الحج فهل هو كالهبة المطلقة فلا يجب بذلك الحج أم كالبذل فيجب؟ وجهان أحوطهما الثاني، وفاقًا لشيخنا الشهيد الثاني خلافًا للشهيد الأول فاختار الأول ولعله الأظهر لأن اشتراط الصرف في الحج لا يُخرجه عن الهبة المحتاجة إلى القبول الملحق لها بالاكتساب الغير الواجب بلا خلاف ودخولها في إطلاق النصوص غير واضح"([8]).

وفي الجواهر عند قول الماتن - ولو وهب له مال لم يجب عليه قبوله - قال: "من غير فرق بين الهبة مطلقًا ولخصوص الحج، وبين هبة نفس الزاد والراحلة وأثمانهما"([9]).

وفي المسالك عند قول الماتن - ولو وُهب له مال لم يجب عليه قبوله- قال: "لأن قبول الهبة نوع من الاكتساب، وهو غير واجب للحج، لأن وجوبه مشروط بوجود الاستطاعة، فلا يجب تحصيل شرطه، بخلاف الواجب المطلق. ومن هنا ظهر الفرق بين البذل والهبة فإن البذل يكفي فيه نفس الإيقاع في حصول القدرة والتمكن فيجب بمجرده" ([10]).

وذكر الشهيد الثاني في الروضة أنه: "إذا وهبه عين الزاد والراحلة وجب القبول"([11])، وذهب جماعة كثيرة من الأعلام إلى وجوب القبول إذا وهبه المال للحج، منهم صاحب الحدائق والنراقي وصاحب المدارك وغيرهم من الأعلام وهو الصحيح، لصدق العرض على كل من البذل والهبة للحج، فالأخبار المتقدمة تشمل الصورتين بإطلاقها، وأما تعليل صاحب المسالك والرياض فقد تقدم دفعه.

وحاصله: أنه بعد العرض يصبح مستطيعًا فيجب القبول لأنه شرط الواجب لا الوجوب، بل حينئذ يجب كل ما يتوقّف عليه الفعل كما عرفت.

هذا تمام الكلام في الصورة الأولى.

وأما الصورة الثانية: وهي الهبة مطلقًا:

فالأكثر على عدم وجوب القبول لأنها لا تدخل في أخبار العرض، والقبول اكتساب ولا يجب تحصيله، لأنه في هذه الصورة شرط الوجوب لا الواجب، وذهب النراقي رحمه الله إلى وجوب الحج في هذه الصورة وقال: "لا فرق في ذلك - أي في الهبة - بين الإطلاق والتقييد، فالحق وجوب الحجّ معه" وما أبعد هذا القول عمّا ذهب إليه صاحب الجواهر (رحمه الله) من عدم وجوب الحج حتى ولو كانت الهبة لخصوص الحج كما عرفت.

وبالجملة: ما ذهب إليه المشهور من عدم وجوب القبول هو الصحيح، لأن القبول نوع من الاكتساب ولا يجب تحصيله لأنه حينئذ شرط للوجوب، ومنه ينقدح عدم وجوب الحج لو بذل له المال ولم يقيّده بالحج، بأن كانت الإباحة مطلقة فلا يجب عليه الحج لعدم دخول هذه الصورة في إطلاقات الأخبار المتقدّمة إذ لا يقال: عُرض عليه الحج.

وإن شئت فقل: إن الاستطاعة إما ملكية أو بذلية، وكل منهما لا ينطبق على موردنا لأنه غير مالك المال ولم يُعرض عليه الحج، فلا يصدق البذل له.

هل يمنع الدين الوجوب بالبذل:

قال في المسالك: "ولا يشترط في الوجوب بالبذل عدم الدين، أو ملك ما يوفيه به، بل يجب الحج وان بقي الدين، نعم لو بذل له ما يكمل به الاستطاعة اشترط في ماله الوفاء بالدين، وكذا لو وهبه مالاً مطلقًا. ولو شرط عليه الحج به فكالمبذول" ([12])، وفي المدارك علّل ذلك بإطلاق النص، وفي كشف اللثام: "واعلم أن الدين لا ينفي الوجوب بالبذل كما ينفيه باتهاب ما لا يفي به مع نفقة الحج والإياب والعيال"([13]).

أقول: السرّ في عدم اشتراط الوجوب بالبذل بعدم الدين هو: أن المبذول له لا يملك المال ملكية مطلقة، بل لا يملكه أصلاً وإنما أبيح له التصرف فيه في الحج، فلا يقال يجب أولاً أداء الدين ثم صرف الباقي في الحج.

ومنه يتّضح ما لو وهبه المال بشرط الحج به، فإنه مقيّد في التصرّف، فليس المال ملكًا له مطلقًا، نعم لو وهبه مطلقًا فهنا يلاحظ أداء الدين أولاً لو كان معجّلاً، حيث إن المال ملك له على الإطلاق وله حرّية التصرف فيه بأي وجه كان.

وأما الاستدلال على عدم مانعية الدين للوجوب بالبذل بإطلاق النص كما عن المدارك وغيره، فربما يقال: إن النص ليس ناظرًا لهذه الجهة، وإنما مورده المساواة بين الاستطاعة الملكية والبذلية وليس متعرّضًا لباقي الشرائط، فتأمّل.

ثم إن المشهور هو عدم وجوب إعادة الحج على المبذول له إذا استطاع بعده للأصل، وصدق الامتثال لانطباق المأمور به على المأتيّ به، فيتحقّق الامتثال والإجزاء، ولصحيح معاوية بن عمار المتقدم([14])، حيث دلّ على الإجزاء عن حجّة الإسلام، ومن المعلوم أن الحج الواجب هو مرّة واحدة في العمر، فلا يقال: إن صحيح ابن عمار دلّ على الإجزاء عن حجة الإسلام ولم يدل على عدم وجوب الإعادة، وذلك لما عرفت من أن الحج الواجب هو مرة واحدة، خلافًا للشيخ (رحمه الله) في الاستبصار فقد أوجب الإعادة بعد اليسار لموثق الفضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (سألته عن رجل لم يكن له مال فحج به أناس من أصحابه، أقضى حجة الإسلام؟ قال: نعم، فإن أيسر بعد ذلك فعليه أن يحج، قلت: هل تكون حجته تلك تامة أو ناقصة إذا لم يكن حج من ماله؟ قال: نعم، قضى عنه حجة الإسلام وتكون تامة وليست بناقصة، وإن أيسر فليحج)([15]).

وهذه الرواية لا يوجد فيها ما يخدش في سندها، إلا ما يقال من أنها مرسلة ومشتملة على عدّة من الواقفية كما عن المدارك.

وفيه: أن اشتمالها على عدّة من الواقفية لا يضرّ بعد كونهم ثقات، فإنّ ابن سماعة وأبان بن عثمان الواقعين في السند ثقتان، وأما بالنسبة للإرسال فلا يضرّ في المقام لأن ابن سماعة قال: (عن عدّة من أصحابنا)، ومن البعيد أن لا يكون في العدّة رجل ثقة. فالصحيح أنّ الرواية موثقة.

ونحو هذه الموثقة خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لو أن رجلاً معسرًا أحجّه رجل كانت له حجّة، فإن أيسر بعد ذلك كان عليه الحج، وكذلك الناصب إذا عرف فعليه الحج وإن كان قد حج)([16]).

والرواية ضعيفة بابن البطائني، وحمل الشيخ رحمه الله في التهذيب موثق الفضل على الاستحباب.

أقول: مقتضى القاعدة هي حمل الخبرين على الاستحباب للتصريح بالإجزاء في صحيح معاوية ابن عمار المتقدم، ولا سيّما أنّ في الرواية إضافة (الناصب) ومن المعلوم أنّه لا يجب عليه إعادة الحج، فكذا هنا.

واحتمل في الوسائل كون الحج الأول على وجه النيابة عن الغير، وتبعه الفاضل الهندي (رحمه الله) حيث قال: "ويحتمل الحج عن غيره وعدم بذل الاستطاعة، فإنّ الحج به إنما يستلزم استصحابه وإرساله في الحج، وهو أعم، ولا يأبى عنه تسمية حجة الإسلام"([17])ولا يخفى بعده.

وذهب السيد الحكيم (رحمه الله) إلى أن العمدة وهن الخبرين بالإعراض والهجر.

وفيه: أن إعراض المشهور لا يوجب وهن الرواية، إلا أن يقال: إن جميع المتقدّمين أعرضوا عن الروايتين حتى أن الشيخ (رحمه الله) هو آخر المتقدمين ذهب إلى الاستحباب في التهذيب كما عرفت.

وبالجملة: فإن العمدة في المقام الحمل على الاستحباب.

انتهى المقال

---

[1] - تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي، مؤسسة آل البيت، قم، ط1: 7/61.

[2] - نفس المصدر.

[3] - نفس المصدر.

[4] - الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، جماعة المدرسين، قم: 14/103.

[5] - مسالك الافهام - الشهيد الثاني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط1: 2/133.

[6] - مدارك الأحكام، السيد محمد العاملي، جماعة المدرسين، قم: 7/47.

[7] - جواهر الكلام،: 17/266.

[8] - رياض المسائل (ط.ق)، السيد علي الطباطبائي: 1/339.

[9] - جواهر الكلام: 17/268.

[10] - مسالك الافهام: 2/134.

[11] - الروضة البهية، الشهيد الثاني، مؤسسة الداوري، قم، ط1: 2/166.

[12] - مسالك الافهام، الشهيد الثاني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط1: 2/133.

[13] - كشف اللثام، الفاضل الهندي،مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1: 5/103.

[14] - الوسائل ب 10 من أبواب وجوب الحج وشرائطه ح2.

[15] - المصدر السابق ب 10 ح6.

[16] - المصدر السابق ب 21 من أبواب وجوب الحج وشرائطه ح5.

[17] - كشف اللثام، الفاضل الهندي،مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط1: 5/103.

الهوامش

* مؤسس حوزة الإمام الرضا(ع)، وأستاذ البحث الخارج.

الإسلاميون والغرب

د. طلال عتريسي

الإسلاميون والغرب.... ما عليهما وما بينهما

د. طلال عتريسي*

من أين يمكن مقاربة المشكلة بين الإسلام والغرب التي تُطرح من جوانب متعدّدة منذ سنوات في كثير من الأدبيات الإسلامية والغربية على حدّ سواء؟

وهل المشكلة المُفترضة ذات طبيعة بنيويّة أو حضارية بحيث لا بدّ من التصادم الذي تدفع إليه المصالح الراهنة أو المخاوف المستقبلية؟ أم أن عوامل أخرى هي التي تسبّب التوتّر والاتّهام المتبادل؟

ثمّة اتجاهات فكرية وسياسية ساهمت إلى حدّ كبير في السنوات الماضية في إثارة القلق والشكوك المتبادلة بين المسلمين والغرب، مثال ما كتبه (هانتنغتون) أو (برنارد لويس) وآخرون، حول اتهام الإسلام كَدِينٍ، أو مثال ما قام به تنظيم القاعدة من عمليات ضدّ أفراد أو مؤسّسات غربية، وما أطلقه زعيمه ابن لادن من دعوات (للجهاد) ضدّ الغرب، ولم تظهر تلك الاتجاهات والدعوات فجأة أو من فراغ، فذاكرة الطرفين التاريخية مُثقلة بالقلق والريبة من الإسلام الذي هدَّد أوروبا ودقَّ أبوابها في القرون الماضية، ومن الجيوش الغربية التي وطأت أقدامها أراضي المسلمين، ومزَّقت وحدتها وأعملت فيها النّهب والقتل، ومارست عليها الاحتلال والوصاية، وزرعت في قلبها كيانًا استيطانيًا.

لا يصدر التوجّس إذًا من فراغ تاريخي أو سياسي أو فكري، فلهذا كله مساهماته التي تتفاوت من حيث القوّة والتأثير على نظرة المسلمين إلى الغرب، وعلى نظرة الغربيين إلى الإسلام والمسلمين... لكن المفارقة هنا، أن كراهية المسلمين للغرب، أو عداءهم له أو خوفهم منه ومن مشاريعه، لم تُفضِ إلى أي عداء للمسيحية كدينٍ، أو لأي إشارة بسوء لها، بينما لم تتورع أقلام غربيّة كثيرة عن المسّ بالإسلام نفسه - وليس بالمسلمين فقط - كدين يحرّض على العنف، ويختزن العداء للآخر وكراهيته.

ليس من المطلوب العودة إلى البيئة التاريخية لعلاقة التوتر بين المسلمين والغرب والتي كتب عنها الكثير، على الرغم من أهمية هذه البيئة في فهم ما يجري اليوم وفي التأثير عليه، بل المطلوب البحث في (المتغيرات الاجتماعية والسياسية الحديثة نسبيًا) التي عزّزت ثنائية الإسلام والغرب، التي يتحمل الطرفان: الإسلاميون والغرب مسؤولية مباشرة فيها، وفي الآثار التي ترتّبت عليها.

مسؤولية الغرب:

أولاً: لا أحدَ يستطيع إنكار التفوّق في قدرات الغرب السياسية والعسكرية والاقتصادية على باقي العالم، إلا أن المسلمين لم يشعروا منذ نصف قرن إلى اليوم أن الغرب كان مُنصفًا نحوهم، أو أنه لم يكن متحيّزاً ضدّهم، فقد صدرت على سبيل المثال عشرات القرارات الدولية في إطار الصراع العربي الإسرائيلي ولم تنفذّها إسرائيل، ولم يرغمها أحد من القوى الكبرى على ذلك، لا قديمًا ولا حديثًا.

بينما تمارس الضغوط الشديدة والمباشرة على دول إسلامية لمنعها من امتلاك السلاح النووي (مثل إيران وسوريا)، ولا ينبس أحد من الدول الغربية بأيّ كلمة بشأن ترسانة إسرائيل النووية، التي يعرف العالم أجمع بامتلاكها لها.

لا بل يذهب بعض قادة هذه الدول إلى تبرير تلك الترسانة بالمخاوف الإسرائيلية من جوارها وعلى مستقبلها، ولا يتقدّم أحد بأي إدانة أو عقوبات رادعة للمجازر التي ترتكبها إسرائيل يوميًا ضدّ الشعب الفلسطيني، وهذه الازدواجية باتت معروفة بالنسبة إلى الدول العربية والإسلامية بسياسة الكيل بمكيالين.

ثانيًا: يتعمد الإعلام الغربي في السينما والتلفزيون تقديم صورة مشوَّهة وسلبية عن الإسلام والمسلمين، وبسبب ثورة الاتصالات الحديثة استطاع المسلمون على اختلاف مستوياتهم أن يتلقّوا هذا الإعلام وأن يعرفوا ماذا يدور فيه، مما أثار غيظهم وغضبهم وخصوصًا أنهم غير قادرين بالمقابل على الردّ بالطريقة نفسها بسبب التفاوت في قدرات الطرفين على هذا الصعيد.

وما هو أخطر من وسائل الإعلام هي الكتب المدرسية الغربيّة التي تقدّم بدورها صورة سلبية للناشئة عن الإسلام والمسلمين وعن العرب...([1]) مما يترك أثراً مبكّراً في وعيهم تجاه هذا الدين وشعوبه المختلفة، ثم تُشارك وسائل الإعلام في تثبيت تلك الصورة، إلى أن يتعذّر لاحقًا تغييرها بسهولة.

ومع تكرار تلك الصور السلبية سوف تنشأ توترات نفسية في صدور الكثير من المسلمين، قد تتحوّل في أي وقت إلى أعمال عدائية أو انتقامية، و يمثّل الملصق الانتخابي الأميركي (جورج بوش) حول الإرهاب نموذجاً لما سبق، وفيه صورة لرجل له ملامح شرق أوسطية (عربي أو مسلم) أثارت انتقاد الأميركيين العرب واحتجاجاتهم ([2]).

ثالثًا: لم تتردّد دول الغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصًا في دعم حكومات إسلامية استبدادية أو غير ديمقراطية، إذا كانت سياسات تلك الحكومات تتّفق والمصالح الغربية، ولا تنتقد دول الغرب ما يتعرض له الإسلاميون تحديداً من تضييق ومن منع أحزابهم من المشاركة السياسية، أو ما يتعرض له الناشطون منهم من اعتقال أو تعذيب.

فتجربة الجزائر على سبيل المثال التي كادت (جبهة الإنقاذ الإسلامية) تصل بها إلى السلطة أجهضت بحمّام دم، ولم يعترض القادة الغربيون على ما حصل بل أيّدوه لأن السلطة كادت تقع في قبضة الإسلاميين لولا ذلك.

وفي مصر لا تزال حركة الإخوان المسلمين محظورة منذ عقود، ولم تحصل على حق الترشح ولا على الترخيص بالعمل السياسي على الرغم من شعبية هذه الحركة الواسعة، التي تضاهي معظم الحركات السياسية الأخرى.

وفي باكستان حصل الجنرال (برويز مشرّف) على دعم الولايات المتحدة وتأييدها بعد انقلابه العسكري، وأصبحت باكستان شريكًا استراتيجيًا مهمًّا لواشنطن، لأنها تعاونت في الحرب الأميركية على طالبان وعلى تنظيم القاعدة في أفغانستان... من دون أن يسبّب ذلك أي حرج للولايات المتحدة، ومن دون أي انتقاد من الدول الغربية الأخرى بسبب طبيعة الانقلاب العسكري الذي لا يمتّ إلى التقاليد الديمقراطية بأي صلة... والأمثلة كثيرة بدءًا من تاريخ أوروبا الاستعماري، وإلى عصر الأمبراطورية الأميركية.

وينعكس هذا الانحياز إلى الحكومات في البلدان الإسلامية إلى المصالح الغربية شكوكًا في ادّعاءات الغرب الدفاع عن حقوق الإنسان وعن الديمقراطية، فتتّسع الهوّة بين الغرب وبين الشعوب الإسلامية، وبين كثير من النّخب في البلدان الإسلامية التي تتطلّع إلى الغرب كنموذج متقدّم، فتجده نموذجًا متحيّزاً يشبه حكوماتها، وتزداد هذه الهوّة اتساعًا مع الإسلاميين الذين يفسر بعضهم صمت الغرب عن التنكيل بهم وعن زجّهم في السجون بأنه تواطؤ وعداء ليس ضدهم فقط بل ضد الإسلام كدين وعقيدة.

رابعًا: دأب الغرب منذ سنوات، وخصوصًا بعد نهاية الحرب الباردة على الاهتمام بما يسمّيه قضايا الديمقراطية والحريّات والمجتمع المدني وحقوق المرأة وحقوق الإنسان في الدول العربية والإسلامية...

وعلى الرّغم من الاهتمام المتزايد في أوساط المسلمين أنفسهم بهذه الموضوعات، وإثارة الأسئلة الجدّية حولها، فإنّ ما يجري على هذا الصعيد لا يلحظ الخصوصيات الثقافية في المجتمعات الإسلامية تجاه قضايا معيّنة، مثل قضية الأُسرة والمرأة، وما يتصّل بهما من علاقات وقيم، إذ تحاول كل اللقاءات والندوات التي تعقدها المنّظمات والهيئات الإقليمية والدولية في البلدان الإسلامية أن تقدّم نموذجها الخاص (الغربي) الذي تعيشه وتعرفه عن هذه القضايا.

وغالبًا ما تختار هذه المنظّمات من بين "المشاركين المحليّين" ذوي الاتجاهات غير الإسلامية الذين يوافقونها عادة على ما تدعو إليه، وتتجنّب دعوة الإسلاميين الذين يخالفونها الرأي ويعترضون على المفاهيم التي تطرح ويتمّ الترويج لها، وهكذا يتقوقع عمل هذه المنظمات والجمعيات بين نخب وحدود تلتفّ حولها وتستفيد منها.. بعدما اختارت عدم التوسع خارج تلك النخب، مما يجعل شكوك الإسلاميين تحوم حولها ويجعل اتهامها بالارتباط بالمخطّطات الخارجية سهلاً ويسير المنال، ويجعل أفرادها في لحظات الانفعال أو الغضب - حتى لما يحصل في أي مكان آخر - عُرضة للاعتداء أو للانتقام.

خامسًا وهو يرتبط بالنقطة السابقة: المشروع الأميركي لـ" إصلاح الشرق الأوسط الكبير" (يضم الدول العربية وإسرائيل وتركيا وإيران وأفغانسان) الذي شغل ولا يزال الحكومات العربية منذ انطلاقه في الشهر الأول من العام 2004 وإلى اليوم، وتحوّل إلى موضوع للسّجال الواسع بين النخب السياسية والفكرية، وأثار موجة من السخط ضدّ أصحاب هذا المشروع على الرّغم من الاعتراف بالحاجة إلى الإصلاح وضرورته في الدول العربية والإسلامية، من إطلاق الحريّات إلى تداول السلطة، إلى حقوق الإنسان.

وبعيدًا عن نقاش جدّية المشروع والقدرة على تحقيقه حيث يريد أن يجمع دولاً متفاوتة التقدّم في تجربتها وفي تنميتها الاجتماعية والسياسية والفكرية، فإن الضغوط الأمريكية الفعلية على معظم الحكومات العربية انصبَّت على قضايا التعليم الديني وغير الديني (لتشذيبه من كل ما يمتّ إلى التطرّف بصلة وإلى كل ما يشير إلى العداء لإسرائيل أو لمقاومتها أو لاحتلالها لفلسطين من جهة ثانية)، كما انصبّت على قضايا المرأة لإطلاق حرّيتها... وذلك استنادًا إلى الرؤية الأمريكية التي تعتبر أن البُنى الراهنة الاجتماعية والثقافية في الدول العربية هي مصدر التطرّف والإرهاب الذي يهدّد أمن الولايات المتحدة الأمريكية وأمن حلفائها... وتعتبر أن تغيير هذه البُنى سيؤدي إلى تجفيف المنابع الفكرية والثقافية لهذا الإرهاب، مثلما تمَّ العمل على تجفيف منابعه المالية بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001.

أما الضغوط الهامشية فكانت على قضايا تداول السلطة وإطلاق الحريات وحقوق الإنسان، ويستند الساخطون على هذا المشروع، إلى أن طريقة إطلاقه وتقديمه إلى الدول الصناعية لمناقشته قبل طرحه على قادة أو على شعوب الدول المعنية بهذا الإصلاح، جعله مشروعًا مفروضًا من الخارج، ومما يزيد من القلق من هذا المشروع أنه يتحدّث عن دعم مباشر لمنظمات دولية ومحليّة في قضايا الإدارة و التعليم والإعلام والانتخابات.. أي "حق التدخل".

وقد بدأت الولايات المتحدة أصلاً وقبل طرح مشروعها ضغوطًا مباشرة لتغيير مناهج التعليم الديني في أكثر من دولة إسلامية، بذريعة التطرّف والكراهية التي يحضُّ عليها هذا التعليم، إلا أن من يعود إلى مطلع الثمانينات من القرن العشرين، سوف يُلاحظ أن الولايات المتحدّة نفسها شجعت وأيَّدت ودعمت توسّع هذا التعليم وانتشاره، وهي لا تشعر بأي حرج وهي تبدل سياستها وتقلبها رأسًا على عقب.

فقد كانت ترى في "الأصولية" حتى في السلفية وفي مدارسها التي تخرَّجت منها حركة طالبان وفي تعليمها "في أثناء الحرب الباردة" سدًّا أمام انتشار الشيوعية حينًا ومحفزًا لقتال السوفيات الذين احتلوا أفغانستان حينًا آخر، "واتسع التلاقي بين شبكات إسلامية وبين الديبلوماسية الأمريكية"([3]).

كما غضَّت الولايات المتحدة الطرف عن الشبكات الإسلامية في المساجد وفي المؤسسات التجارية والإعلامية والدينية في إفريقيا وأوروبا وآسيا... والتي كانت تتلقّى الدّعم المالي من المملكة العربية السعودية لمواجهة النفوذ الإيراني المتنامي بعد انتصار الثورة الإسلامية، ولمحاولة تقديم بديل "معتدل" عن الإسلام الإيراني المتطرّف.

ومن البداهة أن يؤدّي هذا الانقلاب - من التعاون مع "السلفية والأصولية" ودعمها إلى الحرب عليها - إلى الرغبة في الانتقام التي توفّر لها الولايات المتحدة الكثير من المبرّرات من خلال سياساتها في الشرق الأوسط، ولكي يُعلن هذا الطرف الأصولي أو ذاك عداءه للولايات المتحدة أو ليمارس انتقامه الفعلي من الغرب كله... وحتى كيفما اتفق.

سادسًا: بعد الحادي عشر من سبتمبر شنّت الولايات المتحدة حربًا مفتوحة على ما سمّته "الإرهاب" وتبيّن بعد نحو ثلاث سنوات من تلك الحرب أن المقصود بها لم يكن سوى منظمّات وحركات ودول وأحزاب إسلامية دون سواها، وأن العقوبات في تلك الحرب اقتصرت على مؤسّسات وجمعيات تقدّم الدعم والمساعدة والتبرّعات سواء لتلك المنظمات أو للفقراء والمساكين والطلاب من دون أي تمييز.

وتبيّن أن المنظمات التي تقاتل إسرائيل من دون أن تقوم بأي عمليات ضد أوروبيين أو أمريكيين هي أيضًا منظمّات إرهابية، وأن ما تفعله إسرائيل بالشعب الفلسطيني ليس إرهابًا، وأن هذه الحرب امتدّت إلى دولتين مسلمتين في أفغانستان والعراق وأطاحت بنظامهما، بذريعة نشر الديمقراطية تارة وامتلاك السلاح النووي تارة أخرى.

هذا في الوقت الذي تلجأ فيه واشنطن إلى الديبلوماسية العلنية لمواجهة تشبّث كوريا الشمالية "ذات الحزب الواحد" بامتلاك السلاح النووي... كما جعل الرئيس الأميركي لحربه ضدّ الإرهاب طابعًا "تبشيريًا"، فهي بالنسبة إليه حرب "الخير ضد الشرّ" أي أن الشرّ المستَهدف هو التطرّف الذي يتحدَّر من الإسلام من دون أي تمييز بين المنظمات الإسلامية المستهدفة (معتدلة وغير معتدلة، تقاتل الغرب أو تقاتل إسرائيل، جمعيات خيرية أو حركات سياسية..).

فإذا راجعنا مجمل ما أشرنا إليه من سياسات وأفكار وحروب وتهديدات وضغوط لجأ إليها الغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصًا ضدّ الإسلام تارة وضد المسلمين تارة أخرى، فإننا نحصل على الاستنتاجات التالية:

1- إن تلك السياسات والحروب تتحمّل مسؤولية مباشرة في ولادة "بيئة كراهية" الغرب في البلدان الإسلامية، وأن تلك الكراهية يمكن أن تجد بسهولة مبرّرات السلوك العدواني المباشر ضدّ أي رمز غربي بشري أو ماديّ.

2- إن كراهية الغرب ليست كراهية ثقافية فمصدرها سياسي في المقام الأول، وما يقال عن رغبة الإسلاميين في تدمير حضارة الغرب أو في الانتقام من هذه الحضارة ليس صحيحًا وليس واقعيًا.

3- إن مستقبل الإسلام نفسه كتهديد "في المنظور الغربي" أو كشريك وندّ في الحوار "في المنظور الإسلامي"، لن ينفصل عن استمرار تلك السياسات أو عن تعديلها، ولا عن بيئة الكراهية الناجمة عنها.

يتبع =

---

[1] - مارلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1998.

Saddek sabah, L´islam dans le discours mediatique comment les medias se ?representent Lislam en France

[2] - جريدة النهار: 13/3/2004.

[3]- L´AUTRE, Bretrand Badie, Presses De Sciences Po, Paris 1996, Page: 44

[4] - عبد الوهاب المؤدب، أوهام الإسلام السياسي، دار النهار بيروت، 2002.

.

تتمة مقال = الإسلاميون والغرب

مسؤولية الإسلاميين:

لا يعني ما تقدّم أنه ليس بين المسلمين أو بين منظّماتهم وأحزابهم التي ينتمون إليها من لا يعتقد أصلاً إلا بالمواجهة العسكرية مع الغرب، فثمّة من لا يزال ينظر إلى العالم باعتباره دارَين دار الإسلام ودار الكفر([1])، وأن عليه وعلى باقي المسلمين أن ينهضوا لقتال الكفر وداره في كل وقت وفي كل زمان.

وثمّة من يستند إلى أن أهل الكفر "ملّة واحدة" ينبغي قتالهم جميعًا، ولا فرق في ذلك بين محتلّ وغير محتلّ، أو بين مدني وغير مدني، أو بين محارب ومسالم... وله في ذلك مرجعيته النظرية والفقهية وقراءته الخاصة للقرآن والسنَّة، وغالبًا ما يحتلّ هذا الاتجاه صدارة الاهتمام الإعلامي والأمني والسياسي بسبب العنف الذي يلجأ إليه حيثما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

إلا أن ذلك لا يمنع من رؤية اتجاهات أخرى في داخل الحركات الإسلامية يمكن تقسيمها على الشكل التالي:

1- اتجاه يفصل بين الدعوة والسياسة، وهو سابق على انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وينشط من خلال المؤسّسات الثقافية والتربوية والجمعيات الخيرية والإنسانية وبناء الحوزات العلمية... وليس لهذا الاتجاه أية مواقف سياسية ولا يطرح على نفسه مثل هذه المهمّة، ومن ضمنه من يعارض أصلاً مثل هذا التدخّل، ومنهم من يعتقد أن تغيير ثقافة الأفراد هو الذي سيؤدّي لاحقًا إلى أسلمة المجتمع.

2- اتجاه يدمج بين الدعوة والتربية وبناء المؤسسات الاجتماعية والثقافية وبين رغبته في العمل السياسي من خلال الأطر الرسمية والشرعية مثل مجالس النّواب والبلديات والنقابات.

ولا يُقرّ هذا الاتجاه أسلوب العنف، ولا يلجأ إليه من أجل التغيير أو من أجل نشر الدعوة، والنموذج الأبرز لهذا الاتجاه هو جماعة الأخوان المسلمين في مصر، والحركات التي تفرعت عنه أو تأثرت بها في البلدان الإسلامية...

3- الاتجاه الذي سبق وأشرنا إليه، والذي يرى في اللجوء إلى العنف من خلال الاغتيال أو التفجير أو الانقلاب، الوسيلة الأفضل والأسرع لبناء "النظام الإسلامي" والقضاء على "النظام الكافر".

وقد عُرف هذا الاتجاه قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعدها، ويستند هذا الاتجاه إلى مبرّرات فقهية تكفِّر المجتمع الذي لا يطبِّق الأحكام الإسلامية، ولا يستند في ما يفعل إلى الشريعة الإسلامية "جماعة التكفير والهجرة".. وأن التخلّص من هذا النظام هو "نجاة من النار".

وقد شهدت مصر في منتصف السبعينيات محاولة من هذا النوع في داخل إحدى الكليّات العسكرية قادها ضبّاط وجنود ذوو اتجاهات إسلامية.

وقد اشتد ساعد هذا الاتجاه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران التي قدَّمت نموذجًا "ممكنًا" لاستيلاء قوة إسلامية على السلطة، مما يبرّر بالنسبة إلى أصحاب هذا الاتجاه تكثيف العنف لإسقاط "الأنظمة الفاسدة" مثل ما فعل تنظيم "الجهاد" في مصر الذي اغتال الرئيس أنور السادات في مطلع الثمانينات، وكان هذا التنظيم يُعدُّ لعملية استيلاء انقلابية على السلطة فشلت ولم تحقّق أهدافهاk hgjogw وفي الوقت نفسه كثّفت السلطات بدورها العنف ضد أصحاب الاتجاهات الإسلامية، فسجنت واعتقلت وعذّبت الألوف وأعدمت منهم العشرات...

4- الاتجاه الرابع تمثّل في حركات المقاومة ضد الاحتلال، وأبرزها في لبنان وفلسطين التي تنامت بعد انتصار الثورة في إيران، والتي قدّمت الدعم لهذا الاتجاه، وأولوية هؤلاء هو العنف المسلح ولكن ليس من أجل الاستيلاء على السلطة أو أسلمة المجتمع، بل من أجل المواجهة مع الخارج الذي هو الاحتلال المباشر.

وفي مراجعة لحقبة العقدين الماضيين سوف نلاحظ أنها تقسم بدورها إلى مرحلتين: الثمانينَات والتسعينات.

كانت السّمة العامّة للمرحلة الأولى "توظيف" الظاهرة الإسلامية، وتقديم الدّعم لها وإعلاء شأنها في مواجهة الاحتلال السوفياتي لأفغانستان، وأطلق على المقاتلين في الإعلام الغربي "المجاهدون" (ومن بينهم طالبان أنفسهم، ومؤيدو بن لادن)..

أما الوجه الأخر لتلك المرحلة في التعامل مع "الظاهرة الإسلامية" فكان تطويق الثورة الإسلامية في إيران بالحرب العراقية التي استمرت حتى عام 1988، ومن سمات هذه المرحلة أيضًا أن عنف المنظمات الإسلامية "الاتجاه الثالث" انفجر في وجه السلطات الحاكمة وفي داخل المجتمع في حالات من الكرِّ والفرّ، والمدِّ والجزر، والخسائر المتبادلة (كما في مصر والجزائر..) ولم يتَّجه هذا العنف نحو الخارج (الغرب..) حتى إن من تعرض من السيَّاح الأجانب للاعتداء أو القتل فقد حصل له ذلك على أرض الإسلام وليس في الغرب، ومن أجل الضغط على الحكومات وإرباكها وليس لأن هؤلاء الأجانب (صليبيّون أو يهود..).

أما حقبة التسعينات فشهدت فيها المعادلتان: الأقليمية، والدولية، تحوّلاً كبيرًا، فقد انسحب الاتحاد السوفياتي من أفغانستان (1989)، واحتل العراق الكويت (1989)، وتفكّك الاتحاد السوفياتي، ثم عقد مؤتمر مدريد للسلام (1991)، ووقّع الفلسطينيون اتفاق أوسلو (1993).

وفي هذه الحقبة بدأت مراكز الدراسات في الولايات المتّحدة تتحدّث عن "الخطر الأخضر" الذي سيواجه الغرب بديلاً للخطر الأحمر الذي تداعى... وشهدت الدول العربية والإسلامية ما عرف بـ"ظاهرة الأفغان العرب" الذين سبق وقاتلوا في أفغانستان ضد الاحتلال السوفياتي.

وسيبرز في هذه الحقبة على مستوى "الظاهرة الإسلامية" تنظيم القاعدة و"الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والنصارى" (تحالف بن لادن والظواهري) الذي سيحظى باهتمام دولي وإعلامي وسياسي من الدرجة الأولى بعد أعمال عنف وتفجيرات واعتداءات ضدّ مؤسسات مدنية وعسكرية غربية وأميركية، نَسَبَتها تلك الجبهة إلى نفسها، من تفجير السّفارات، إلى تفجير مجمّعات سكنية وعسكرية، من إفريقيا إلى المملكة السعودية إلى أوروبا، وصولاً إلى عمليات الحادي عشر في واشنطن ونيويورك، وستحجب هذه الظاهرة تحوّلات أخرى شديدة الأهمية وأكثر نفاذًا في بُنية المجتمع في البلدان الإسلامية، وأبرزها:

1- اتجاه معظم الحركات الإسلامية وحتى الاتجاهات الرئيسية فيها نحو التكيّف مع النظم القائمة في بلدانها([2])، ونحو السبل المشروعة والديمقراطية المتاحة (البرلمان، البلديات، الحكومات) واتخاذ ذلك سبيلاً للمشاركة السياسية وللتغيير السلمي من دون اللجوء إلى العنف، (كما في تجارب لبنان والأردن والكويت والمغرب وتركيا..).

2- تراجع العنف الداخلي الذي سبق ومارسته تنظيمات إسلامية ضد شخصيّات سياسية أو أجنبية أو ضد سيّاح أجانب، أو ضد غير المسلمين (مصر والجزائر)، والأهم من هذا التراجع هو الإدانة الواسعة والعلنية لهذا الاتجاه من شخصيات وقادة وعلماء من التيّارات الإسلامية المختلفة، كانوا يصمتون في السابق عن هذا النوع من العنف، ولا يقلّ أهميةً عن تلك الإدانة ظاهرة تراجع معظم قادة تيّار العنف نفسه عن هذا الأسلوب واعترافهم بالخطأ الذي ارتكبوه وتوبتهم، وإعلان رغبتهم في التحوّل إلى العمل العلني المشروع وتأسيس أحزاب سياسية.

وقد قدّمت اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر مبرّرات قويّة للاتجاه الغربي التي سبق ورأى في الإسلام تهديدًا شاملاً أو خطرًا قادمًا، كما وضعت تلك الهجمات الاتجاهات الإسلامية كافّة على اختلاف استراتيجياتها أمام تحدٍّ لم يسبق لها مواجهته، فقد فتحت عليها واشنطن أبواب حرب عالمية أطلقت عليها "الحرب على الإرهاب" على المستويات السياسية والإعلامية والأمنية والعسكرية والمالية.. بعد أن جعلتها كلها في (سلة واحدة) من دون تمييز بينها، أو بين التحولات التي تمرّ بها، ودفع المسلمون أفرادًا وجماعات وحكومات أثمانًا باهظة لتلك الحرب.

أما أبرز المتضرّرين مما حصل فهو تيار الحوار بين الحضارات، وتيار المقاومة ضد الاحتلال، فقد تحول العالم في لحظة واحدة إلى ما يشبه معسكرين متقابلين لا ثالث لهما: واحد للخير، وواحد للشرّ، ويسعى كل منهما للقضاء على الآخر.

فابن لادن يدعو المسلمين إلى الجهاد ضدّ الصليبيين واليهود والكفار، وجورج بوش ينزلق إلى "حرب صليبية" لا تستهدف إلا المنظّمات والحكومات الإسلامية، ويعلن "أن من ليس معه فهو ضده في هذه الحرب، وأنها حرب الحضارة ضد الإرهاب".

ومما فاقم من الأضرار والمعوّقات التي تعرّضت لها دعوة الحوار بين الحضارات، أن الرئيس الأميركي تبنّى عقيدة "الحرب الاستباقية" التي تسمح له بشنّ الهجوم العسكري على أيّ بلد يعتقد أنه يشكّل تهديدًا محتملاً لأمن الولايات المتحدة أو لأمن حلفائها، ومن الطبيعي في بيئة مماثلة من التوتّر ومن الاعتداءات المباشرة أن تصمّ الآذان عن دعوات الحوار..

أما من جهة ثانية فقد كشفت الهجمات على واشنطن ونيويورك وما أعقبها من عمليات في بلدان عدّة: إسلامية وأوروبية، حجم التخلف عن الواقع في خطاب وأهداف تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن الذي يجاهد في "جبهة عالمية ضد اليهود والصليبين"، فقد فات هذا التنظيم على سبيل المثال أن أبرز معارضة للحرب على العراق جاءت من "العالم المسيحي" ومن الفاتيكان نفسه عندما خرج مئات الألوف إلى شوارع أوروبا للتنديد بالحرب وبالسياسة الأميركية، ووقفت أوروبا بقوّة في المحافل الدولية ضدّ الولايات المتحدة الأميركية... ودفعت مقابل ذلك أثمانًا سياسية واقتصادية...

كما كشفت عمليات الحادي عشر من سبتمبر وما أعقبها من تطوّرات وهجمات وحروب من أفغانستان إلى العراق، مدى افتراق "تنظيم القاعدة" كتيار "جهادي سلفي" إلى حدّ العزلة عن التيارات الإسلامية الأخرى، دون أن يعني ذلك أنه في طليعتها، ففي الوقت الذي يتبنّى فيه هذا التيار أسلوبًا وحيداً هو عمليات التفجير ضدّ أهداف مدنية وعسكرية غربية (أميركية وأوروبية) من دون أيّ مشروع سياسي، ومن دون معرفة الخطوة التي ستعقب تلك التفجيرات ومن دون تقدير حجم الضّرر على المسلمين من جرّائها.. فإن الاتجاهات الإسلامية الأخرى تندّد بالسياسات الأميركية وتُعلن مناصبتها العداء، ولكنها لا توجّه نيرانها إليها مباشرة، فهي إما أنها تقاتل الاحتلال الإسرائيلي أو أنها تتعامل مع الحكومات في بلدانها بالسّلم حينًا وبالعنف حينًا آخر.

وما يمكن ملاحظته أيضًا أن هذا التيار الذي يخوض (جهادًا) على مستوى العالم كلّه، ويدعو المسلمين (والأمة) كافّة إلى الالتحاق به، (من دون أن تستجيب الأمّة لذلك)، لا يحقق انفصاله عن الغرب وحده ولو بقتاله، بل تراه ينفصل عن الأمّة نفسها، التي يدعوها للالتحاق به أو يقاتل باسمها، فالممارسة الدينية الصارمة للحياة اليومية، وإدانة كل أنواع الاستعارات الثقافية، وكل أشكال العلاقات الاجتماعية التي لا يحكم هذا التيار بصحتها، والتبرّؤ من كل المذاهب الإسلامية الأخرى إلى حدّ تكفيرها.. وإهمال القضايا الكبرى أكانت سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية، فَصَل هذا التيار - وربما من حيث لا يشعر- أتباعه عن جسد الأمّة الذي يحيا بنمط آخر من التفاعل ومن التحوّلات التي يمتزج فيها القديم بالجديد، والداخل بالخارج، والإسلام بالغرب..

وهم بهذا المعنى لا ينفصلون - كما يعتقدون - عن ثقافة الغرب وحده، بل ينفصلون أيضًا عن ثقافة الأمّة الجامعة التي تختلط فيها الأعراق واللغات والثقافات... وكأن هذا التيار الذي يقاتل من خارج أيّ أرض يدعو إلى أمّة افتراضية خيالية ومجردة لا قضايا لها، ولا فروقات في داخلها.. وبما أن أرض الإسلام غير موجودة (لأن كل الحكومات كافرة بدرجة أو بأخرى)، فأرض الجهاد أيضًا لا يمكن تحديدها بزمان أو مكان..

كما أن (المؤمن) نفسه الذي يقاتل من داخل هذه الجبهة العالمية التي يقودها أسامة بن لادن وأيمن الظواهري يتجرّد من بيئته ولا يقاتل من أجل بناء حكومة إسلامية في بلده، بل يريد أن يعيش وفقًا لمعايير الإسلام، وأن يقاتل الغرب الذي يمنعه ويمنع باقي المؤمنين أن يعيشوا إسلامهم..

فهو لا يقاتل إذن من أجل إنقاذ أرضٍ إسلامية (فلسطين على سبيل المثال)، أو لإسقاط حكومة غير إسلامية (في بلده الذي ينتمي إليه)، بل يقاتل على حدود العالم من دون أيّ مركز يستند إليه، دفاعًا عن "الإسلام المهدّد" الذي أخذت "الجبهة العالمية لقتال اليهود والنصارى" على نفسها حمايته، وبالطريقة التي رأتها مناسبة من أجل تلك "الأمّة الافتراضية"([3]) التي يتواصل أفرادها عبر الانترنت والتي لم تلتحق بهم لغاية اليوم([4]).

إن الفتاوى التي صدرت من كثير من العلماء في المملكة السعودية وفي مصر وفي بلدان إسلامية أخرى([5])، تتبرّأ من هذا التيار وتُدين ما يقوم به، خصوصًا بعد التفجيرات التي استهدفت مبانٍ سكنية، وكنيسًا يهوديًا، ومقارًا ديبلوماسية ودولية، في أكثر من دولة عربية وإسلامية... ستزيد من عزلة هذا التيار على الرغم من الاهتمام الإعلامي به، خصوصًا أن الأهداف التي ينشدها والأساليب التي يستخدمها قد تثير الاهتمام على المستويات كافة ولكنها لا تحقّق التغيير المنشود، ولا يمكن أن تعمّر طويلاً، ناهيك بما تقدّمه تلك الأساليب ومن المبرّرات الذهبية في كثير من الأحيان للولايات المتحدّة لمزيد من الإجراءات الأمنية، ولمزيد من الضغوط على الحكومات الإسلامية وعلى المنظّمات الجهادية ضدّ الاحتلال وعلى الجمعيات الإسلامية باتجاهاتها كافّة.

إن ما تقدّم يسمح بالاستنتاج بأن مشكلة العالم الإسلامي مع الغرب تُختصر في هذه الحقبة بالسياسات الأميركية نحوه... وأن مشكلة إسلاميي هذا العالم هي في هذا التيار الذي يريد أن يجعل المواجهة مع الغرب مواجهة شاملة، وأن يختصرها ويختصر الإسلام والجهاد في الوقت نفسه بما يقوم به هو فقط من عمليّات ومن تفجيرات في أكثر من مكان، وأن تطويق وعزل التداعيات السلبية لتلك العمليات - حتى لا يُختصر الإسلام والمسلمون بهذا النموذج - لن يكون بالملاحقات الأمنية بأيدٍ داخلية أو خارجية... بل - وهذا هو الأهم- يكون بتنامي وثبات وحضور التيارات الإسلامية الأخرى: من تيار المراجعة والانفتاح. إلى تيار المشاركة وحوار الحضارات. إلى تيار الوحدة الإسلامية. إلى تيار المقاومة ضد الاحتلال.

انتهى المقال

---

[1] - عبد الوهاب المؤدب، أوهام الإسلام السياسي، دار النهار بيروت، 2002.

[2] - طلال عتريسي، الإسلاميون والديمقراطية، قراءة في استراتيجية التصالح في الإسلام والفكر السياسي: الديمقراطية/الغرب/ إيران، المركز الثقافي العربي 2000.

[3] - أوليفية روا، عولمة الإسلام، دار الساقي بيروت، الطبعة الأولى 2003.

[4] - أطلق أسامة بن لادن أكثر من نداء للمسلمين للجهاد ضد الغرب، وألقى الظواهري نداء إلى الشعب الباكستاني لإسقاط الحكومة الباكستانية.. من دون أية استجابة بارزة.

[5] - راجع دعوة عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية في مصر إسلاميي السعودية إلى إلقاء سلاحهم (الأهرام في 18/8/2003) وتنديد الشيخ ناصر الفهد السعودي بالاعتداء على مجمع المحيا في الرياض، ودعوته الشباب السعودي لعدم الذهاب للجهاد في العراق (السفير والوكالات في 24/11/2003).

الهوامش

* د. طلال عتريسي مدير معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية

الغدير

الشيخ أحمد عسيلي

عيد الغدير

الشيخ أحمد عسيلي*

ذكراك يا عيـدَنا رَوْحٌ وَرَيْـحانُ
حمدٌ و شكرٌ وتسبيحٌ وقرآن

والكونُ في نشوة الأفراح يطربه
عذب القوافي وتغريدٌ وألحان

وفي السماء ترانيمٌ يُخامرها
عطر الوصيّ وساق العرش مزدان

يومٌ أطلّ على الدنيا ببهجته
وزيّنَ الحورَ في الجنات رضوان

عيد السماء وعيد الأرض والتقيا
فكان في خُمَّ للعيدين ديوان

يومٌ به الله أوحى للرَّسول ألا
بَلِّغ فليس لهذا الأمر كتمان

وأنتَ إن لم تبَلِّغْ ما أُمرت به
عادت إلى البيت أصنامٌ وأوثان

نَصِّبْ عليّا إمامًا للأنام فذا
عهدٌ من الله معهودٌ وإيذان

فقام فيهم خطيبًا ثم بلّغهم
و كُلّهم يومَها سَمْعٌ وآذان

وتمّت النعمة الكبرى ببيعته
وكان للهِ بعدَ التمّ رضوان

وقد تهلل وجهُ المصطفى فرحًا
وأنشد الشعر ذاك اليوم حسّان

فاليومَ عيدٌ به جبريلُ مبتهجٌ
واليوم عنوانه مولىً وإيمان

اليومَ شُيِّدَ للإسلام صَرحُ هدىً
واليومَ صار لِعَيْنِ الدينِ إنسان

اليومَ أجفانها بالمرتضى اكتحلت
لولاه ما اكتحلت للدين أجفان

لولا الولاية ما تمّتْ لنا نِعمٌ
يومَ الغدير فسَلْ يُنبيك فرقان

(أليومَ أكمَلتُ) هذي فيه قد نزلت
أليس قبلَ تمامِ الشيء نقصان

هذا هو المجدُ لا مالٌ ولا خَوَلٌ
ولا عروشٌ و لا ملكٌ و تيجان

هي الإمامة عهدُ الله يجعله
لمن همُ عمَدٌ للدين أركان

ا لطاهرون الألى لم يعبدوا صنمًا
حاشا فهم لسوى الديّان ما دانوا

فيا أبا حسنٍ تهنيك نائلةٌ
قد خصّك اللهُ فيها وهي عرفان

من ذا يضاهيك في فضلٍ وفي شرفٍ
وأنت في جبهة التوحيد عنوان

حُزتَ الفضائلَ ما فاتتك واحدةٌ
يكفيك أنك للإيمان ميزان

يكفيك أنك نفسُ المصطفى حسبًا
يومَ التباهل والتنزيل تبيان

لولاك ما قام للإسلام قائمةٌ
ولا تَرَسَّخ للتوحيد بنيان

لولاك ما خُلِقَتْ شمسٌ ولا قمرٌ
أليس في ردِّ تلك الشمس برهان

لولاك ما قِيلَ (بسم الله) في نُسُكٍ
و لا تَفَوّه بالرحمن إنسان

لم تعتمَ عن فضلك المشهودِ أعيُنُهم
بل القلوب عليها الرَّيْنُ والران

قد بايعوك ولكن بعدها نكثوا
وعاهدوا اللهَ لكن بعدها خانوا

كأنّ (أوفوا بعهدي) آيةٌ نُسِخت
وكلّ نصّ أتى زُورٌ و بهتان

لو أنهم عَظّمَ الباري بأنفسهم
لعَظّموكَ وكانوا غيرَ ما كانوا

حَلَتْ طليقتك الدنيا بأعينهم
وغرَّهم زُخرُفٌ منها وشيطان

لو أمَّروكَ لسادوا فيك بل سعدوا
أو حكّموكَ لما ذلّوا ولا هانوا

مالوا عليك ولو مالوا إليك هُدوا
كما اهتدى فيك عمّارٌ وسلمان

لم يـقـبلوا أنـك المـولى لهم أبدا		حتى و لو جاء فوق النصّ قرآن
قـد أبغضوك وثاراتٌ لهم كـتِـمَتْ		مـن يـوم بدرٍ وأحقادٌ وأضغان
صرعْتَ شَـيْـبَـتَـهم جـدَّلـتَ عـتبـتهم		كـذا الوليد وأكـفاءٌ وأقـران
قـتـلتَ أشيـاخهـم أرديتَ عَمْرَوهمُ		وكلّـهم في الوغى شُوسٌ و شجعان
ولـم تـدَعْ أيَّ بـيـتٍ من بـيـوتهم		إلا و فـيـه مـناحاتٌ وأحـزان
والديـن ما زال هـشـّا فـي نفوسـهم		ولم يزلْ عندهم في الشـرك أخدان
والـجـاهـلية مـا انـفكـّـتْ تـراودهـم		و في القلوب لها شوقٌ و تـحنان
الخَـطـبُ أنـّـكَ لـم تـأخـذك لائـمـةٌ		فـي كـلِّ أمـرٍ به لله رضـوان
فأنت هَـمّـكَ حـفظ الدين مـن صغرٍ		والقوم هَـمُّـهمُ دنـيـا وسـلطـان
وأكـثـر الناس أعـداءٌ لمـا جـهـلوا		وأكـثـر الناس للطـاغوت عُـبدان
قاسـوك يـا عِـلـّة الإيجاد عن حسـدٍ		بمن سـواك و لولا أنت ما كـانوا
فليخسؤوا أين مـن إحدى علاك عـلاً		ومَـن عديّ و مَن تـيمٌ وسـفيان
فرّوا وولـّوا على الأدبار في أحُـدٍ		وذو الفقار برأس الشـرك رنـّـان
نهـَضْـتَ بالأمر لمّا دونـه فشـلوا		وقد برزْتَ و إرعاد الوغى زجلُ
تردي الصـنـاديدَ والأبطالُ قد وجلوا		وأنت من نصر الإسـلام إذْ خذلوا
شتـّـانَ لا يستوي نصرٌ وخذلان		

* * *

نـهـجـتَ نـهجَ رسـول الله إذ عدلوا		وقد شُـغِـلتَ بأمرٍ عنه قد شـُغِلوا
سـاووك يـا صِنو طه بالألى جهلوا		وهل يقاس بطـَوْدِ شامخ جـُـعـَـلُ
هيهاتَ ليس كطـَوْدِ العِزّ كثبانُ		

* * *

يا أوّل القوم إسلامًا وأثبتهم		يا من به أطفِئث للشرك نيران
لله درّك في الهيجاء كم خضعت		لحدِّ سيفك أعناقٌ وفرسان
كأنّ رمحَك في ساح الوغى قلمٌ		مِدادُه من صدور ا لشوس مرجان
روائع النظم تزهو تحت ريشته		كأنّه في بديع النظم فنّان
والسيف بالنثر لا بالنظم منشغلٌ		وأنت قطب رحاها وهو تبيان
فالنظم و النثر في كفيك سرّهما		وأرؤس الصِيد والهامات إعلان
يدير صمصامُه في الحرب دفّتها		كأنما الحربُ فلكٌ وهو رُبان
يكلم الشوس لكن لا لسان له		و إن تلفّظ فالأ لفاظ أبدان
يهوى نشيدَ القوافي في جماجمهم		كأنما وقعُه لحنٌ و أ وزان
إن يعترض قطّ والأعناق شاهدة		و إن علا قدَّ والهامات برهان
لله صولتُه في الله بطشتُه		ما احتزَّ رأسًا لعمروٍ وهو غضبان
هذا الذي أوجب الباري محبته		و باسمه زيّن الرحمن سدرته
هذا الذي فيه أحيا الله شرعته		هذا الذي شهدت بدرٌ شجاعته
وسيفه من دماء الشرك ريّان		

* * *

هذا الذي طلّق الدنيا وزينتها	وعافها فهْي في مرآه ثعبان
ما غرّه الأصفر الرنّان حاشَ له	فالتبر والتبن في كفّيه صنوان
وإنه جوهرُ الدنيا وذا عَرَضٌ	فكيف يزدان في عينيه رنّان
مولاي فضلك لا يخفى وإن جحدوا	فأنت في صَفحَات العزّ عنوان
يا من ولايته دينٌ ومعتصمٌ	وبغضه في كتاب الله كفران
يا كاشف الكرب عن وجه النبي ويا	حامي حمى الدين لمّا عزّ أعوان
يا بائتًا في فراش المصطفى فرِحًا	ثَبْتَ الجنان وجفن الموت يقظان
رقدْتَ تفديه والأعداء ترصده	كرقدة الليث و العادون ذؤبان
أنوار مجدك مهما أنكرت ألقٌ	هيهاتَ يُطفىء ذاك النورَ نكران
صفاتك الغرّ كم خطّتْ بها صُحُفٌ	وكم تغنّت بها في البيد ركبان
وكم ترنّم أرباب القصيد بها	وكم تباهى بها شيبٌ وشبّان
وفيك كم تلتِ الآيات من مِدَح	يغنيك عن كل مدحٍ ذلك الشان
المصطفى جاء بالقرآن معجزةً	و أنت معجزة بل أنت قرآن
وأنت في الصلوات الخمس مذ فرضتْ	جزءٌ و من دونه نقصٌ وبطلان
وأنت مالِكُ نار الحشر بل ملِكٌ	وأنت في الخلد رضوان وسلطان
يمضي الزمان فتطوى فيه صفحته	وطيب ذكرك لا تطويه أزمان
ما المرء إلا سُويعاتٌ مقدّرةٌ	تمضي فيمضي و أنت الأمسُ والآن

* * *

عليهم من الرحمن ألفُ تحية	فقد أخرجونا من دجى الظلمات
إذا ذُكِروا طاب الوجودُ بذكرهم	وألف سلامٍ دائمٍ وصلاة
جزى الله خيرًا آلَ بيتِ محمد	ألا طيّبوا الأنفاسَ بالصلوات

* * *

الهوامش

* عالم عاملي وأديب.

رسالة النجف — العدد الرابع

جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية · http://127.0.0.1:8000

جميع الحقوق محفوظة